مجلة التراث العلمي العربي فصلية، علمية، محكمة
العدد الثاني – 2017م

نقد كاشفٌ عمّا نُسِبَ إلى صاحب الكشاف

أ.د. محمد خاقاني أصفهاني
أ.م.د. كيفيه اهوازيان
قسم اللغة العربية/ جامعة اصفهان/ إيران جامعة المعلمين والمعلمات/ إيران

الملخّص

في اللغة العربية قضايا مهمة تحتاج إلى تبيين وتتبُّع لمسائلها وإيضاح الوجه الصواب فيها حتى يتجلّى الحقُّ فيها للعيان ، ويكشف الغطاء عنها منعاً من الالتباس والغموض في تلك القضايا ، وهي قضايا كثيرة ومتناثرة في أوراق أمَّات الكتب، منها: الآراء الَّتى ينسبها العلماء المتقدّمون والمتأخرون إلى الزمخشري واحداً تلو الآخر، ثمَّ يردّون عليها ردّاً شديداً. ولكن إذا تتَّبعنا فى بساتين الكتب وحلَّلناها تحليلاً دقيقاً وجدنا أنَّ نسبتها إليه خطأ فاحش، وإنها دعوى بلا دليل.

تمخّضت عن هذه الدراسة عدد من النتائج المهمة، منها: أنَّ هناك آراء نحوية جعلها الدارسون في خانة اجتهادات الزمخشري وانفراداته وأثبتنا بأنَّ هناك من سبقه فى هذا المجال بدلائل واضحة ومستخرجة من كتب العلماء وأسفَرَ استقصاء هذه القضايا من مصادرها الأصلية عن عدم صحة نسبتها إلى الزمخشري والكشف عن الخطأ. وعدم التسليم أيضاً لكلّ ما ينسبه الدارسون للزمخشري لأنَّهم نسبوا إليه تلك القضايا قبل أن يتهيأ لهم استيفاء النظر فى كتبه وكُتُب من تحدث عنها قبل الزمخشري. والخلاف كثير بينَ بعض المصادر الناقلة والمنقولة منها ، حيث يجب الرجوع إلى مصادره الأصلية. وكذلك تفرض الأمانة العلمية أن يكون النقل والنسبة فى أعلى وأدقّ مستوى حتّى تأمن القضايا المنقولة عن الخطأ والالتباس والغموض وأن يسيرَ التتّبع فى الآراء على منهج علمى دقيق لا لبس فيه ولا إبهام.

ومن هذا المنظور يوضّح هذا البحث مدى صحَّة الآراء النحوية المنسوبة إلى صاحب الكشاف تبياناً للحقِّ.

الكلمات الدليلة: القرآن الكريم، والزمخشري، والآراء النحوية.

١. المقدّمة

١-١. بيان الموضوع

يناقش هذا البحث أقوال النحاةِ عن عالم من أشهرِ علماء النحو، من أعلامِ علوم اللغة العربية، وهوَ الزمخشري . ويقف المتتبِّعُ نُقول النحويّينَ عن الزمخشري، بعض الأحيان على الخطأ والغلط أحيانا في نسبةِ الآراء النحويَّةِ إليهِ، على الرغمَ من وجودِ مصادره الأصيلة وهى كتبه النحوية الشهيرة «المفصّل»«المفرّد والمؤلّف»، «الأنموذج»، «الأحاجي النحوية»، وكذلك آراءه النحويَّة فى الكشاف الذى يكشفُ فيه عن مواقفِه، وآرائه في كثيرٍ من المسائلِ، ويوضّحُها بجلاءٍ، لا لَبْسَ فيه، ولاغموضٍ. وقد جاءَ هذا البحثُ، ليكشفَ عن هذهِ الظاهرةِ، أي ما نسبَ إليهِ،على جهةِ السهوِ، أو الغلطِ.

ولعلّ منَ الأسبابِ الكامنةِ وراء هذه الآراء المنسوبة إليهِ، عدمَ اطلاعِ النحاةِ الَّذينَ ينقلون المذاهبِ، على كتبِهِ وكتب علماء النحومن قبله، ولو أنّهم راجعوها وعادُوا إليها، لعدلوا شيئاً من هذه الآراءالنحويّةِ المنسوبة إليه بالغلط، الّتي لم يكن هو أوّل من قالَ بها وإنَّما اكتفى هؤلاءِ النقلةُ بالأخذِ، بعضِهم عن بعضٍ، حتّى صار هذا النقلُ أمراً مسلّماً به عندَ كثيرٍ من العلماءِ المتقدّمين والمتأخرين، لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديهِ، ولا من خلفِهِ.

إنَّ الغاية الرفيعة من دراسة الآراء الَّتى نُسِبت إلى الزمخشري وتبيين مدى صحَّتها يرجع إلى أنَّها نُسِبَت إلى عالم متضلّع فى اللغة ومتفننٌّ فى علوم العربية جميعها وله أثر بارز وكبيرفى فحول العلماء الَّذين عاصروه أو ظهروا بعده إذ بادرتُ باستخراج هذه الآراء الَّتى تناثرت بين صفحات أمات الكتب ثُمَّ درستها دراسة منهجيَّة تقوم على الإيضاح والإفصاح بما قاله كباراالنُّحاة مراعاة للأمانة العلمية وحتى ترتفع موجبات الثقة إلى أعلى مستوى ممكن . ولتحقيق هذا الهدف سارت هذه الدراسة على وَفقَ منهجٍ ثابت ، يعتمد على الأصول الآتية :

- تتبّعِ المباحث المطروحة ؛ لاستقصائِها والوقوفِ عليها، قدر المستطاع.

- الاستناد الى كتب الزمخشري النحويَّة لتحقيق من صحَّة الآراء الَّتى نُسِبت إليه.

-التتبُّع فى كتب علماء النحو الَّذين سبقوه لتبيين مواقفهم ومذاهبهم حول القضايا المنسوبة إلى الزمخشري على جهة الغلط.

١-٢. أسئلة التحقيق

- ما مدى صحّة الأقوال المنسوبة إلى الزمخشري؟

- ما المعايير الّتى يمكن اعتمادها لمعرفة الحقّ والصواب؟

- ما مدى صحّة نسبة القضايا الّتى عُدَّت من اجتهاداته وانفراداته؟

١-٣. خلفية البحث

عنوان البحث أي نقد كاشف عمّا نُسب إلى صاحب الكشاف ومحوره الأصلي أى تبيين صحّة ما نسبه إليه الدراسون الذين جعلوا بعض القضايا من اجتهاداته، لم يتطرّق إليه أحد على وفق بحثي عنه فى دراستي هذه . وإنَّ هذا البحث بحث مبدع يريد أن يجعلنا نتحفظ على كلّ ماعزاه النحاة إلى الزمخشري من آراء نحوية ويجعل الدارسين أن يتّبعوها ويبيِّنوا دقائقها إيضاحاً للصواب وابتعاداً عن اللبس والغموض. وهذا الموضوع رؤية جديدة وقراءة حديثة ولكن هناك آثار كثيرة ناقشت أقوال وآراء الزمخشري من جوانب مختلفة : كالصرف والنحو ، البلاغة ، المفردات ، القراءات القرآنية...؛ أشير إلى بعض مما كتب عنه وعن كتبه:

- إنَّ للكشاف اثنين وعشرين شرحًا وتعليقًا، وتسعة مختصرات، وثلاثة ردود (بروكلمان، ١٩٦١م، ج١، ص٢٩٠) –

- التمييز لبيان ما في تفسير الزمخشري من الاعتزال فى الكتاب العزيز لأبي على عمر بن محمد بن الخليل السكوني، المتوفى سنة (٧١٧هـ).

- منهج الزَّمخشريّ في تفسير القرآن وبيان إعجازه، لمصطفى الصاوي الجويني ، ١٩٦٥م .

- الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصة الكشَّاف ، لعبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة .

- تقريب التفسير اختصار للكشاف وضعه العلامة قطب الدين محمد بن مسعود السيرافي .

- الانتصاف من الكشَّاف ، للشيخ أحمد بن المنير الإسكندري ، وهو رد لما احتواه الكشَّاف من الناحية الاعتزالية غالبًا .

-الزَّمخشريّ ، للدكتور أحمد محمد الحوفي ، ١٩٦٦ م .

- جار الله الزمخشرى حياته وشعره لعبد الستار ضيف، ١٤١٤ هـ.

- أثر البلاغة في تفسير الكشَّاف، للدكتور عمر الملا حويش، ١٩٧٠م .

- الدراسات النحويةُ و اللغويةُ عند الزمخشرى ،للدكتور فاضل صالح السامرائى ،١٣٩٠هـ -١٩٧١م .
- الزمخشرى لغوياً و مفسراً لمرتضى آية الله زاده الشيرازى: تقديم حسين نصار، ١٩٧٧م .
- النظم القرآني في كشاف الزمخشري ، للدكتور درويش الجندي، ١٩٦٩م د . ط.
- المسائل الاعتزالية فى تفسير الكشاف فى ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير، لصالح بن غرم الله الغامدي ، ١٤١٨ هـ .
- الزمخشري آثاره و منهجه النحوي لعبد الحميد قاسم النجّار ، رسالة الماجستير ، إشراف عبد الجواد محمد الطيب،١٩٨٢م .
- أثر معاني القرآن للأخفش فى الكشاف لمحمود حسين الزبيدي ، رسالة الماجستير بإشراف محمد صالح التكريتي،١٤٢٤ هـ ،٢٠٠٤ م.
- القراءات المتواترة فى تفسير الكشاف لمحمد محمود بني الدومي، رسالة الماجستير، بإشراف محمد علي الحجازي،١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات البلاغية لمحمد حسنين أبي موسى، د.ت .

١-٤. منهج البحث

ملاءمة لطبيعة هذه الدراسة قد اعتمدتُ المنهج الوصفي التحليلي في عرض المادة، وتبيين هذه القضايا وتحليل الآراء، إذ كنتُ أورد بعض الآراء والقضايا المنسوبة إلى الزمخشري ثمَّ أقوم باستقصائها وإيضاح دقائقها والكشف عن صحتها أو عدم صحتها بالرجوع إلى أمّهات الكتب واستيفاء النظر فيها .

٢. حياة الزمخشري وثقافته وآثاره

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر(١). ولُقّب جار الله لأنه كان قد جاور بيت الله الحرام بمكّة زماناً فصار هذا اللقب علماً عليه(٢)، كما أنه لُقب بفخر خوارزم (٣) لغزارة علمه ، ذكر أصحاب التراجم إنّ ولادة الزمخشري كانت فى السابع و العشرين من رجب سنة ٤٦٧ هـ (٤) إلّا أنّ ابن كثير، قد ذهب إلى أنّه تُوفّى سنة ٥٣٨هـ عن عمر يُناهز ستّاً وسبعين سنة و ذكر أنّه ولد سنة ٤٦٢ هـ (٥)، وهذا يخالف ما ذكره ابن العماد مِن أنّه عاش إحدى وسبعين سنةً (٦).

إنَّ الزمخشري كان فارسياً، ومع هذا فَمن يُتابع سيرته يَرى مَدى اندفاعه نحوالعروبة والدِّين الإسلامي

و إخلاصه لهما. كان الزمخشري يظهر مذهب الاعتزال وكان مبالغاً فى اعتزاله، مجاهراً به، وقد صرَّح بعقيدته فى تفسيره، حتى أنّ الذهبي عَدّه «كبير المعتزلة» (٧).

أخذ الزمخشرى الأدب والنحو من أُستاذه الضبيّ كما أخذ منه عقيدة الاعتزال (٨). نال الزمخشري مكانة كبيرة، ومنزلة بالغة الأهمية عند من عاصروه أو جاؤوا بعده، فهو إمام عصره فى اللغة و الأدب، و خير دليلٍ يشهد له على تلك المكانة والمنزلة العالية، آراء العلماء التي ضمنها كتب التراجم و الطبقات و منها: وصفه ياقوت الحموي: «كان إماماً في التفسير، وفي النحو واللغة، وفي الأدب، واسع العلم، كبير الفضل، متفنِّناً فى علوم شتى»(٩). وقال فيه ابن خلكان: «كان إمامَ عصره من غير مدافع، تشدّ إليه الرحال فى فنونه»(١٠). ووصفه الدكتور شوقي ضيف من المحدثين: «إنّه عالم من علماء التفسير و إمام من أئمة اللغة و النحو»(١١). يقول الجويني: لقد ظهرت ثقافة الزمخشري فى كشافه فبانَ فيه رجلاً لغوياً مقتدراً ومتكلماً منطقياً جدلاً، وذواقة مرهف الحسّ لجمال النصّ القرآني، وهذه الخصائص ولا شكّ وليدة ثقافته التي ثقفت حياته كلَّها، فتفسيره انعكاس لما تمثَّله من هذه الثقافات(١٢). لقد حفظ لنا التاريخ عدداً من مصنَّفات الزمخشري وآثاره فى مختلف علوم العربية التي يربُو عددها على خمسين مصنَّفا و منها: - الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل، وأساس البلاغة، وجواهر اللغة، ومقدمة الأدب، والفائق فى غريب الحديث، والأجناس، والقسطاس فى العروض؛، وديوان شعره - ديوان الرسائل، وشرح كتاب سيبويه. ألّف الزمخشري تسعة كتب فى النحو منها ما طبع و منها ما لم يطبع(١٣). و أمّا كتبه النحوية المطبوعة:

- **المفرد و المؤلّف**

هو كتيّب صغير يقع ضمن كتاب مطبوع بعنوان «رسالتان للزمخشري» تحقيق الدكتورة «بهيجة الحسني» هو إحدى هاتين الرسالتين.و قد تناول فى القسم الأول (المفرد) كلا من الاسم، و الفعل، و الحرف، فالاسم له أحوال الإعراب، و البناء، و التثنية، والجمع، والإظهار، والإضمار، والتعريف، والتنكير، والتذكير والتأنيث

و الفعل ينقسم من حيث الزمان، والتعدي، واللزوم، والتام، والناقص، ومن أحواله الإعراب و البناء، و الحرف و ينقسم على: عامل كحروف الجر وغيرها، وغير عامل كحروف العطف و غيرها، و قد ختم كلامه على الحرف بقوله: «ولا حال له لجموده لزومه و تيرة واحدة».

أما قسم المؤلف، فقد كثرت تقسيمات الزمخشري له، و قد تدرج بها تدرجا منطقيا على النحو الآتي:

المؤلف من اسمين: المبتدأ، المضاف والمضاف إليه، الموصوف والصفة، المبدل مع البدل، المؤكد مع التأكيد، المعطوف عليه مع المعطوف، ذو الحال مع الحال، المقدار مع مميزه، المستثنى مع المستثنى منه، الصفة والمصدر مع فاعليهما و مفعولهما.

المؤلف من الفعل و الاسم: الفعل مع الفاعل، الفعل مع المفعول الفعل مع الحال، والتمييز، والمستثنى.

المؤلف من الحرف والاسم : قد مع الماضى لتقريبه من الحال، ومع المضارع لتقليله والسين وسوف مع المضارع ، ولم يستشهد فيه ببيت واحد من الشعر ، ولم يستشهد من القرآن الا بآيات ثمان، لا ينسب رأياً إلى أحد ولا إلى نفسه، ولا يتطرق إلى خلاف، أو يشير إليه.

- الأنموذج فى النحو

يتحدث فى أوله عن أقسام الكلام، التى هي: اسم، و فعل و حرف. ثم يتحدث عن القسم الأول باختصار شديد فيذكر أنواعه من ثم يتحدث عن حروف المعرب ، ومن ثَمَّ عن الإعراب، ثم عن المرفوعات، والمنصوبات والموصولات، وأسماء الأفعال، والكنايات، والمعرفة والنكرة، والمذكر والمؤنث، ومن ثم يبدأ بالحديث عن الفعل الماضي، والمضارع والأمر المتعدي وغير المتعدي، ثم عن الأفعال الناقصة، ثم عن فعلى التعجب. ثم يبدأ بالحديث عن الحرف فيعرفه ويتحدث عن حروف الإضافة والحروف المشبّهة بالفعل، وحروف العطف، وحروف النفي، وحروف التصديق وحروف الصلة، وحروف الاستقبال وعن حرفي الاستفهام. وهو لا يتعدى فى الحديث عن كل قسم، تعريفه بإيجاز، والتمثيل عليه ، وعلى كل فرع من فروعه، بجمل عادية مبسطة، تخلو من التكلف والتعقيد، من غير أن يستشهد بشعر، أوبآيات قرآنية ولا ينسب فيه رأياً إلى أحد، و لا يذكر خلافاً أو احتجاجاً.(١٤)

- المفصل

هو أشهر كتب الزمخشرى النحوية بدأ بتأليفه فى رمضان من عام ٥١٣هـ و انتهى منه فى المحرّم من في عام ٥١٥ هـ (١٥).و «قد اعتنى بشرحه خلق كثيرون» (١٦).وكان شرح ابن يعيش الذى يتميز بأسلوبه الأدبي الرفيع من أشهر شروحه جميعاً وتجلّى بين أيدينا موسوعة متعددة الجوانب فى الصرف والنحو واللغة والأدب مشتملاً على القراءات القرآنية، والزمخشري قد قسمه على أربعة أقسام كما قال فى مقدمته: «القسم الأوّل فى الأسماء، والقسم الثانى فى الأفعال، والقسم الثالث فى الحروف، أما القسم الرابع ففى المشترك من أحوالها»(١٧). تحدث فى القسم الأول عن أصناف الاسم المعرب، ووجوه إعرابه، من ثم عن المرفوعات والمنصوبات والمجرورات ثم عن التوابع، والظروف، والمركبات، ثم تكلَّم عن الجوانب الصرفية، ومنها الأسماء المتصلة بالأفعال- المشتقات، وفي القسم الثاني، قسم الأفعال، بدأ الحديث عن الفعل الماضى، من ثم المضارع، فذكر أحواله، ووجوه إعرابه وتحدث عنه مرفوعاً، ومنصوباً، ومجزوماً ثم عن الأمر، ثم عن تعدية الأمر و لزومه، ثم عن الفعل المبنى للمجهول ، ثم أفعال القلوب، ثم عن الأفعال الناقصة ثم عن أفعال المقاربة، من ثم عن أفعال المدح والدهر، ثم عن أفعال التعجب وتحدث بعد ذلك عن الجوانب الصرفية للأفعال.

بدأ في القسم الثالث بالحديث عن الحروف، من ثم الحروف المشبهة بالفعل، ثم حروف العطف، ثم عن الحرفين المصدريين «ما»، و«أن»، ثم عن حروف التحضيض، ثم عن حروف التقريب، ثم حروف الاستقبال، ثم عن حرفي الاستفهام (الهمزة و هل)، ثم عن حرف الشرط، ثم حرف التعليل (كي)، ثم حرف الردع (كلا)، ثم تحدث عن اللامات، و حروف أخرى كثيرة. وبدأ القسم الرابع- قسم المشترك- فتحدث فيه عن الإمالة والوقف والقسم، وتخفيف الهمزة، والتقاء الساكنين، وحكم أوائل الكلم وإبدال الحروف والإعلال، و الإدغام (١٨) .

٣. الكشف عن مدى صحَّة الآراء المنسوبة إلى الزمخشري

إنَّ بعضاً من فحول العلماء نسبوا إلى الزمخشري أقوالاً وآراءً مُدَّعين بأنَّهُ أوَّل من قال بهذه الآراء وعدُّوها من انفراداته واجتهاداته وإذا تتَّبعنا كتب العلماء وجدنا نسبتها إليه وهم وهناك من سبقوه فى هذا المجال. وإنَّ الزمخشري ماهو إلَّا ناقل أقوال مَن تقدَّمه . ومِن هذه الآراء ما ادَّعاه ضيف والسامرائي تابعين فيها ابن هشام والأزهري.

٣-١. قد عَدَّ الدكتور شوقي ضيف بعض انفرادات الزمخشري ولكن فى بعض منها نظر ويجب على المتتبع أن يبحث عن صحَّتها؛ على سبيل المثال قال ضيف ومن انفراداته: «و إنّه قد يأتي بعد (إلّا) نعت لما قبلها، مفرد مثل «ما مَرَرتُ برجل إلّا شجاع» و جملة مثل «ما مَرَرتُ بأحد إلّا زيد خيرٌ منه و جعل الجملة بعد إلّا فى مثل قوله تعالى: «و ما أهلكنا من قرية إلّا و لها كتاب معلوم» صفة لقرية، و قال: إنَّ الواو للصوق الصفة، و جعلها غيره واو الحال»(١٩). ونرى أنَّ ضيف جعل مثل هذه المواقف من آراء الزمخشري الخاصّة وانفراداته. وهذا الخطأ نفسه وقع فيه فاضل السامرائي إذ قال:جاء فى الكشاف فى قوله تعالى:«وما أهلكنا من قرية إلّا و لها كتاب معلوم»؛(ولها كتاب معلوم) جملة واقعة صفة لقرية والقياس لايتوسَّط الواو بينها...وإنَّما توسّطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يُقال فى الحال : جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب (٢٠) . وقد ردَّ السامرائي على الزمخشري بأنَّ الجملة فى هذه المواضع حالية بقوله: والواو فى مثل هذا للحال .

وكذلك ابن هشام والأزهري ينسبان هذا الرأي للزمخشري ويزعمان أنَّه من آرائه التي انفرد بها ويردّان عليه . ورد فى المغنى: أنَّ الواو «لاتعترض بين الموصوف وصفته خلافاً للزمخشرى ومن وافقه...فللوصفية مانعان (الواو) و(إلّا) ولم ير الزمخشري وأبو البقاء أحداً منهما مانعاً وكلام النحويين بخلاف ذلك (٢١) . وقال الأزهري: إنَّ ما ذهب إليه جار الله من توسّط الواو بين الصفة والموصوف فاسد لِأنَّ مذهبه فى هذه المسألة مذهب لا يعرف من البصريين والكوفيين يعول عليه فوجب ألايلتفت إليه (٢٢) .

- بيان النقاش والأدِّلة

وقد حالف الحظ الزمخشري فى هذا الرأي ونُسب إليه ما ليس له والان بجولة فى كتب مشاهيرالنحو في نجد من سبقه بهذا القول ويجب على هولاء العلماء أي ابن هشام والأزهري وضيف والسامرائي أن يخالفوهم ويردّوا عليهم لا على الزمخشري الّذى هو تابعهم وأتى برأيهم .

-إنّ مذهب الزمخشري – كما ذكره ضيف- جواز الفصل بين الموصوف وجملةَ الصّفة بإلّا و قال: فى «المفصّل» «و إذا قُلتَ: «ما مَرَرت بأحدٍ إلّا زيدٌ خيرٌ منه، كان ما بعد إلّا جملة ابتدائية واقعة صفة لأحد، و «إلّا» لغو في اللفظ معطية فى المعنى فائدتها جاعلة زيداً خيراً مِن جميع مَن مَرَرتُ بهم»(٢٣) وإذا راجعنا كتاب سيبويه فكأنَّ الزمخشري يتكلم بلسان صاحب

الكتاب. قال صاحب الكتاب: «هذا باب ما يكون مبتدأ بعد إلّا» و ذلك قولك: «ما مَرَرت بأحدٍ إلّا زيدٌ خيرٌ منه» كأنَّك قلتَ: «مَررتُ بقوم زيدٌ خيرٌ منهم، إلّا أنّك أدخلتَ إلّا لتجعل زيداً خيراً من جميع مَن مَرَرتَ بهم»(٢٤) و نرى أن سيبويه فى تقديره ،جعل الجملة بعد إلا صفة لقوم. و بقول صاحب الكتاب هذا ، يبطل رأي هولاء العلماء بأنَّ الرأي المذكور من انفرادات الزمخشري وكذلك ما نسبوه إليه فى هذا المجال.

إنَّ النحويين البصريين يُقدِّرون محذوفاً فى مثل قوله تعالى: «و مامِنّا إلّا لهَ مقام معلوم» (٢٥) و إنَّ هذا المحذوف فى الحقيقة اسم تصفهُ الجملة الواقعة بعد إلّا. ذُكِرفى إعراب القرآن عند بيان إعراب هذه الآية: «فيه تقديران عند أهل العربية أحدهما: «و ما منّا إلّا مَن له مقام معلوم» و حُذفت مَن و هو مذهب الكوفيين. و التقدير الثاني: أنّ المعنى «و ما منّا ملكٌ إلّا له مقام معلوم» و هذا قول البصريين. (٢٦) ؛ أي أنّ جملة «له مقام» وصفٌ لملك المحذوف ، و قدَّره النحاس قبل إلّا و هذا دليلٌ آخر لجواز الفصل بين الوصف الجملة و موصوفة بإلّا و كما لاحظنا أن النحاس و البصريين سبقوا الزمخشري فى هذا الرأي.

قال مكيّ بن أبى طالب فى إعراب الآية الكريمة: «و ما أهلكنا من قرية إلّا و لها كتابٌ معلوم» (٢٧)؛ كتاب: مبتدأ، و لها: الخبر، و الجملة فى موضع نعت للقرية و يجوز حذف الواو من (و لها) لو كان فى الكلام»(٢٨).

وكذلك قال أبوالعباس فى تبيين: «الجمل بعد المعارف أحوال و بعد النكرات صفات»: و مِثلُ هذا من الجُمل قولك: مرَرت برجل أبوه منطلق، و لو وضعتَ فى موضع رجل معرفة لكانت الجملة فى موضع حال، فعلى هذا تجرى الجمل. و إذا كان فى الثانية ما يرجع إلى الأوّل جاز ألّا تعلّقه بحرف العطف و إن علّقته به فجيد. و اذا كان الثاني لا شيءَ فيه يرجع إلى الأوَّل فلا بُدّ من حرف العطف، و ذلك قولك: مَرَرتُ برجلٍ زيدٌ خيرٌ منه و جاءَني عبدالله أبوه يكلّمه. و إن شئت قلتَ: و زيدٌ خيرٌ منه، و أبوه يكلّمه بالواو و هي حرف عطف»و كما شهدنا فى جملة المثال أَنّ المبرد مثّل لجملة الصفة بـ «مررتُ برجلٍ زيدٌ خيرٌ منه» ثمّ أجاز دخول الواو عليها و قال: و إن شئتَ قُلتَ: و زيدٌ خيرٌ منه (٢٩) . و إنّ مجيء الواو قبل جملة الصفة ليس من اجتهادات الزمخشري و إنّما انفرد هو بتسمية هذه الواو، واو اللصوق و إلّا أقرَّ مشاهير العلماء النحويون من القدماء بدخول الواو على جملة الصفة.

٣-٢. جَعلَ السامرائي (٣٠) توجيه الزمخشري للآية آتية الذكر من اجتهاداته و انفراداته فى الكشاف: «ما أنت بنعمة ربِّك بمجنون» (٣١): قال الزمخشري: «فإن قُلتَ: بِمَ يتعلّق (الباء) فى «بنعمة ربّك» و ما محلّه؟ قلتُ : يتعلّق بـ «مجنون» منفيّاً ، كما يتعلّق بـ (عاقل) مُثبتاً فى قولك: (أَنتَ بنعمة الله عاقل) (٣٢). و لو سنحت للسامرائى الفرصة للمُوازنة بين نصّ الكشاف وما ذكره الزجَّاج فى كتابه لَما عدّها من اجتهاداته. فلنَرَ توجيه الزّجاج لنفس الآية؛ يقول الزجاج: «هذه مسألة من أبواب النحو، تحتاج إلى تبيين، قوله: «أنت» هو اسم ما و «مجنون»، الخبر و «بنعمة ربّك» موصول بمعنى النفي، المعنى: انتفى عنكَ الجنون بنعمة ربّك، كما تقول «أنتَ بنعمة الله فهِمٌ» «و ما أنتَ بنعمة الله جاهلٌ» و تأويله: فارَقَك الجهلُ بِنعمة الله» (٣٣).

٣-٣. لن الزمخشرية: تفيد تأكيد نفى المستقبل وتأبيده

كثيراً ما نرى فى كتب النحويين عبارة (لن الزمخشرية)، والقصد منها النفي المستمر أو الجحد الدائم، ونحن هنا نريدُ بجولة فى كتب بعض القُدماء والمعاصرين نكشف مدى صحّة نسبتها إليه ؛ اتَّفقَ جمهور النحاة على أنَّ لن حرف نفي واستقبال ينصب المضارع بنفسه ، وهو ينفي المضارع الذي دخلت عليه السين قال سيبويه (٣٤): (ولم: وهي نفي لقوله فعل، ولن وهي نفي لقوله: سيفعل).وهناك آراء شتَّى حيال إفادة لن توكيد النفي أو تأبيده أو عدم إفادتها لكِلا معنيين.

٣-٣-١ .تأكيد النفى

ومن تأثير مذهبه الاعتزالي تفسيره لمعنى «لن» من إفادتها تاكيد نفى المستقبل بشدّة، و قد أكَّد هذا المعنى و قرَّره فى أكثر من آية، على سبيل المثال ما ذكره فى قوله تعالى: (قال رب أرني أنظُر إليك، قال لن تراني) (٣٥) لعلاقتها بنفى رؤية الله تعالى، كما يراه المعتزلة، قالَ: فإن قلتَ: ما معنى (لن) قلتُ :به تأكيد النفى الّذى تُعطيه (لا) و ذلك أنّ (لا) تنفي المستقبل، نقول: لا أفعل غداً، فإن أكَّدت نفيها، قلتَ: لن أفعل غداً ، و المعنى أن فعله يُنافي حالي، كقوله: «لَن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له» (٣٦) و قوله : «لا تُدركُه الأبصارُ» (٣٧) نفى للرؤية في «لن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له» (٣٨) ما يستقبل و (لن تراني) تأكيد و بيان، لأنّ المنفي مناف لصفاته (٣٩)؛ لا شكَّ أن هذا التفسير يظهر فيه بوضوح مذهب المعتزلة و قولهم باستحالة رؤية الله سبحانه و تعالى.

وقد رَدّ النحاة المتقدّمون ما قاله الزمخشرى من تأكيد النفى بـ(لن) و تأبيدها، و قالوا :إنّها تُفيد مجرد النفي الدالّ على الاستقبال، و بناءً عليه فإنَّ (لن) لا تفيد تأكيد النفي أو تأبيده. و أجاب ابن مالك (٤٠) عليه:

ومَن رَأَى النفي بلَن مُؤبداً فقَوله اردُد و سواه فاعضدا

و كذلك ردّ ابن هشام الأنصاري(٤١)، دعوى الزمخشري بأَنّ: لاتفيد (لن) توكيد النفى خلافاً للزمخشري في كشافه، و لا تأبيده خلافاً له فى أنموذجه، و كلاهما دعوى بلا دليل و لو كانت للتأبيد لم يقيّد منفيها باليوم فى قوله تعالى: (فَلَن أُكلّم اليومَ إنسيّاً) (٤٢) و لَكان ذكر الأبد فى قوله تعالى: «و لن يَتَمنّوه أبداً» (٤٣) تكراراً و الأصل عدمه و كذلك قال الزركشي (٤٤) : (و الحق أنّ (لا) و (لن) لمجرد النفي عن الأفعال المستقبلة، و التأبيد و عدمه يؤخذان من دليل خارج، و من احتجّ على التأبيد بقوله تعالى: (فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا) (٤٥) و بقوله تعالى: (لن يَخلُقوا ذُباباً) (٤٦) عورض بقوله: «فلن أكلّم اليوم انسيًا) و لو كانت للتأبيد لم يُقيد منفيها باليوم، و بقوله تعالى : «لن يتمنّوه أبداً» و لو كانت للتأبيد كان ذكر الأبد تكراراً و الأصل عدمه). ورَدَّ شارح المفصَّل (٤٧) على هذا الاعتراض بقوله :إعلم أَنَّ «لن معناها النفي وهى موضوعة لنفي المستقبل وهى أبلغ فى نفيه من لا» لِأَنَّ (لا) تنفي (يفعل) إذا أُريدُ به المستقبل ولن تنفي فعلاً مستقبلاً قد دخل عليه السين وسوف وتَقَعُ جواباً لقول القائل سيقوم زيد وسوف يقوم زيد والسين وسوف تُفيدان التنفيس فى الزمان فلذلي يقع نفيه على التأبيد وطول المُدَّة نحو قوله تعالى : «ولن يَتَمنَّوه أبداً بما قَدَّمَت أيديهم» وكذلك قول الشاعر:

ولَن يُراجِعَ قلبي حُبُّها أبداً زَكِنتُ مِن بُغضِهم مثل الَّذي زَكِنوا

فذكر الأبد بعد لن تأكيداً لِما تُعطِيه لن من النفي الأبديّ ومنه قوله تعالى: «لن تراني».

و حين نراجع كتب المعاصرين نرى بعضاً منهم في هذا الوهم نفسه و هذا هو الدكتور شوقي ضيف ينصُّ بأنّ القول بتأكيد النفي بلن وتأبيده من اجتهادات الزمخشري حيث قال:«للزمخشري آراء كثيرة ينفرد بها...وذهب إلى أن «لن» تفيدُ تأكيد النفي ، بل تأبيده مثل لن أجبن» (٤٨).

وقد حالف الحظُّ الزمخشري في هذه القضية أيضاً ؛ إذْ نَسَبَ له النحاة ما ليس له، واعترضوا عليه فيما هو تابع فيه المتقدِّمينَ من النحويين،ولو بحثنا عن مسألة القول بتوكيد النفي بلن من أصلها لوجدنا الخليل بن أحمد

هو أوَّل مَن قال بها، حيث قال في العين: (وأما لَن فهي: (لا أن) وصلت في الكلام، ألا تَرى أنها تُشبه في المعنى لا، ولكنَّها أوكَدُ، تقول: لن يُكرمَك زيد معناه: كأنه يطمع في إكرامه فنفيت عنه ووكدت النفي بلن فكانت أَوكَدَ من لا) (٤٩) فالخليل بن أحمد هو أوَّل من قال بأن لن تفيد توكيد النفي وبين بأنها تشبه «لا» في إفادة النفي ولكنها تتميَّز عن لا بأنها آكد منها ، وقال بهذا المعنى مكرِّراً كلامه عدَّة مرّات (ولكنَّها أوكد) (فنفيت عنه ووكدت النفي) (فكانت أوكد من لا). فكان الحق على معارضي الزمخشري أن يعارضوا الخليل في القول بتأكيد النفي بلن ويردون عليه وليس للزمخشري المتابع للخليل .

٣-٣-٢. القول بتأبيد النفي بلن

بما أنَّ الزمخشري ينتمي إلى مذهب الاعتزال الَّذي ينفي رؤية المؤمنين لله تعالى فى الآخرة نفى استحالة لأنَّ رؤيته تعالى تقتضى مشابهته سبحانه للحوادث وهو محال ، لهذا نرى أنَّ تأبيد النفي بلن كانت متداولة وشائعة عند المعتزلة قبل ميلاد الزمخشري بزمنٍ إذ نجد أقوالاً عدة لكبار المعتزلة يذهبون فيها إلى القول بتأبيد النفي بلن مِنهم الخطيب الإسكافي، وهو عاش في القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس، قال الخطيب الإسكافي في شرح قوله تعالى:(ولن يتمنوه أبداً بما قدَّمت أيديهم) (٥٠) (ووجب أن يكون ما يبطل تمني الموت المؤدي إلى بطلان شرطهم أقوى ما يستعمل في بابه وأبلغه في معنى ما ينتفي شرطهم به، وكان ذلك بلفظ لن الّتي هي للقطع والثبات ثم أكَّد قوله أبداً ليبطل تمني الموت الّذي يبطل دعواهم بغاية ما يبطل به) (٥١) وقال الشريف المرتضى وهومن كبار علماء الشيعة في تأويل قوله تعالى: «قال لن تراني ولكن انظُر إلى الجبل فَإن استَقَرَّ مكانه فسوفَ ترانى»(٥٢)؛ وقد استدلَّ بهذه الآية كثير من العلماء الموحدين على أنه لا يُرى بالأبصار من حيثُ نفى الرؤية نفياً عاماً بقوله: لن تراني، ثم أكَّد ذلك بأن علَّق الرؤية باستقرار الجبل الّذي علمنا أنه لم يستقر (٥٣) . وقال أيضاً: فأما قوله في قصة موسى عليه السلام: «إنك لَن تستطيع معي صبراً» (٥٤) (فظاهره يقتضي أنك لا تستطيع ذلك في المستقبل، ولا يدُلُّ على أنه غير مستطيع للصبر في الحال)(٥٥) والزمخشري مولود عام ٤٦٧هـ، وتُوُفِّي عام ٥٣٨هـ والإسكافي توفي سنة ٤٢٠هـ والشريف المرتضى توفي سنة ٤٣٦هـ ، و إذا قايسنا بين وفاة الاسكافي والشريف المرتضى وميلاد الزمخشري تبيَّنَ لنا الأمر، أي أن الزمخشري وُلد بعد وفاة الإسكافي بما

يقارب نصف قرن وبعد وفاة الشريف المرتضى بإحدى وثلاثين سنة. ومن المستحيل أن يكون صاحب الكشاف هو أوّل من قال بها. وكلا الرأيين اللَّذين نُسِبا إلى الزمخشري مردودان، لأنّ الخليل هو أوّل من قال بتوكيدها والإسكافي و الشريف المرتضى هما اللَّذان قالا بتأبيدها وكلاهما قد سبقا الزمخشري فى هذا المجال كما وضّحنا هذه القضية بشواهد منهما .

ومن جانب آخر نجد بعض المتقدّمين و المتأخرين قد التزموا موقفاً مخالفاً للموقف الأوَّل ويرفضون هذه النسبة رفضاً شديداً وويُؤكّدون أنَّ الزمخشري لم يقل بتأبيد (لن) وهذا الأمر وَهمٌ نُسب إليه ، فلندرس هذه الآراء تبياناً للحقّ: قد ذكر الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى:«فَإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتَّقوا النار الَّتى وقودها الناسُ والحجارة أُعِدَّت للكافرين»أنَّ «لن» تفيد توكيد النفي وتشديده.(٥٦) وقال أبو حيان التوحيدي معترضاً على قوله «ما ذكره الزمخشري هنا مخالف لما حُكِيَ عنه أن«لن»تقتضي النفي على التأبيد (٥٧).وهذا هو الدكتور فاضل السامرائي يقول: «أنَّ ما ذكره ابن هشام و الأزهري و الأشموني و السيوطي و غيرهم من أنّ «لن» عنده تفيد التأبيد فى الأنموذج و أنَّ ذلك حمله عليه اعتقاده المعتزلي فوهمٌ نسِبَ إليه و فيقول :(فليس فى الأنموذج ما ذكره النحويون، وإنّما فيه (و لن نظيره لا فى نفي المستقبل و لكن على التاكيد» (٥٨).

ولمَّا راجعنا كتب الزمخشري وجدنا أنَّه قد تناول معنى «لن » في كثير من كتبه النحويّة: أوَّلاً:الكشاف:قال فيه أنَّ «لن» تفيد توكيد النفي وتشديده ورأيه هذا يتجلى فى مواضع عديدة من الكشاف،كما بيَّناه سالفاً. ثانياً: المفصل: ذكر فيه :«و«لن»لتأكيد ما تعطيه «لا»من نفي المستقبل ، تقول : لا أبرح اليوم مكانى،فإذا وكَّدتَ وشدَّدتَ قلت :لن أبرح اليوم مكانى .قال الله تعالى: «لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين»(٥٩) وقال سبحانه وتعالى:«فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي» (٦٠).ثالثاً: الأنموذج فى النحو: وذكر فيه : «ولن نظيرة «لا» في نفي المستقبل، ولكن على التأكيد»(٦١). فنرى انَّ له كلام واحد بيّن غير ذي إبهام فى كتبه الثلاثة النحوية وهوأنَّ «لن» تفيد توكيد النفي. فكيف نُسِبَ إليه القول بتأبيد لن؟ ابن هشام فى المغنى (٦٢) وابن مالك فى شرح كافيته (٦٣) وكذلك السيوطي في همع الهوامع (٦٤) ومن العلماء المتأخرين شوقى ضيف فى المدارس النحوية (٦٥) ، ذهبوا إلى أنَّ الزمخشري قال بتأبيد لن . وإنَّ هؤلاء العلماء الَّذين نسبوا إلى الزمخشري القول بتأبيد «لن» عزوه إلى أنموذجه وانَّى ما عثرتُ على هذا

القول فى أنموذجه. وإنَّ كتبه النحوية وتفسيره الكشاف الذى بيَّن فيه آراءه النحوية وهي مصادره الأصيلة شاهد صادق ودليل مبرهن على أنَّه لم يقل بتأبيد «لن» ، وماذهب إليه هؤلاء العلماء دعوى بلا دليل.

٣-٤. اجتماع همزة الاستفهام وبعض حروف العطف

الهمزة أمّ باب الاستفهام ولهذا اختصت بأحكام منها:أنَّها تتقدَّم على ثلاثة أحرف من حروف العطف وهي«الواو» و«الفاء» و«ثُمَّ» كقوله تعالى: (أوكلَّما عاهدوا عهداً)(٦٦)؛ (أفنضرب عنكم الذكر صفحا)؛(٦٧) (أثُمَّ إذا آمنتم به)(٦٨).و الأصل فى حروف العطف أن تتقدَّمَ على همزة الاستفهام كما شأنها فى سائر أدوات الاستفهام كقوله تعالى:(وكيف تكفرون وأنتم تُتلَى عليكم آياتُ الله وفيكم رسولُهُ)،(٦٩)؛(فأينَ تذهبون)،(٧٠)؛(فهل يُهلَك إلَّا القوم الفاسقونَ)،(٧١)؛ ومن هنا اختلفَ النحويون فى الهمزة إذا تقدَّمت على حروف العطف المذكورة،هل هي فى موضعها من التصدير أم هي فى محلّها الأصلي وأنَّ العطف على جملة مقدَّرة بينها وبين العاطف؟ فذهب جمهور النحاة ومن بينهم سيبويه إلى أنَّ الهمزة في نيَّة التأخير عن حرف العطف وفى التجوز هذا تنبيهاً على إصالة الهمزة فى التصديروالجملة بعد العاطف معطوفة على الجملة التى قبل حرف العطف وقبل الهمزة. وذهب جماعة من النحاة إلى أنَّ الهمزة فى موضعها الأصلي وحرف العطف فى موضعه أيضاً والجملة بعد العاطف معطوفة على جملة محذوفة مقدَّرة بين همزة الاستفهام وحرف العطف. وقد وَرَدَ فى الكشاف الكثير من الشواهد القرآنية على اجتماع همزة الاستفهام و بعض حروف العطف أذكُر منها:

- **«أَوَعجِبْتُمْ أَن جَاءَكمْ ذِكْرٌ مِّن رّبِّكمْ عَلى رَجُلٍ مِّنكمْ لِيُنذِرَكُمْ وَ لِتَتّقُوا وَ لَعَلّكمْ تُرْحَمُونَ » (٧٢).**
- **«أَ فَنَضرب عَنكُمُ الذِّكرَ صفْحاً أَن كنتُمْ قَوْماً مّسرفِينَ» (٧٣).**
- **«وَأَمّا الّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آياتي تُتْلى عَلَيْكمْ فَاستَكْبرْتمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مجْرِمِينَ»(٧٤)**
- **«أَ تَأْمُرُونَ النّاس بِالْبرِّ وَ تَنسوْنَ أَنفُسكُمْ وَ أَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَب أَ فَلا تَعْقِلُونَ » (٧٥).**
- **«أَ وَ كلّمَا عَهَدُوا عَهْداً نّبَذَهُ فَرِيقٌ مّنْهُم بَلْ أَكْثرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» (٧٦).**

وذهب الزمخشري أيضاً إلى أَن الهمزة في مثل قوله تعالى: «أَوَ لم ينظروا»، «أَفَلَم يسيرُوا»، «أَثمّ إذا ما وقع آمنتم به» و «أَفنَضرب عنكم الذكر صفحاً»، «أَفإن مات أو قتل انقلبتم» «أَفما نحن بميتين» في محلِّها الأصلي و أَنَّ العطف على جملة مقدرة بينها و بين العاطف فيقول التقدير في: «أَفلم يسيرُوا» تقديرها «أَمكثوا فلم يسيرُوا» ،و في أَفنضرب عنكم الذكر صفحاً تقديرها أَنهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحاً. أما مذهب سيبويه و الجمهور «أَنّها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو الفاء أو بثُمَّ قُدّمت على العاطف تنبيها على إصالتها في التصدير، نحو «أَوَ لم ينظروا» و «أَفَلَم يسيروا» (٧٧).

وفي هذه القضية نرى ابن هشام ذهب إلى أنَّ الزمخشري هو أوَّل من قال بتقدير جملة محذوفة مقدرة بين همزة الاستفهام وحرف العطف؛ حيث قال: الثاني - أي الدليل الثاني على صدارة الهمزة - أنَّها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثُمَّ قُدِّمت على العاطف تنبيهاً على إصالتها في التصدير، نحو «أَوَ لم ينظروا»(٧٨) و...وهذا مذهب سيبويه والجمهور وخالفهم جماعة أوَّلهم الزمخشري (٧٩) . وكذلك نرى أبا حيان التوحيدي (٨٠)؛ ذهب إلى ما قاله سيبويه وجماعة البصريين و يعترض على الزمخشري بعنف شديد ويقول :هذه نزعة زمخشرية . وعلينا أن نتَّبع كتب النحاة القدماء ونرفع الغطاء لتبيين صحة هذا القول أو عدمها أى هل كان الزمخشري أوَّل من قال بذلك أم كان تابعاً لغيره وقد سبقه أحد في هذه القضية ؟

اعترض الدسوقي على ما قاله ابن هشام: «وخالفهم جماعة أوَّلُهم الزمخشري»فقال: فقوله «أوَّلهم الزمخشري» الأولى أن يُقال : ومنهم الزمخشري ؛ إذ هذا قد نُقِل عن بعض ممَّن تقدَّم على الزمخشرى » (٨١). ولم يذكر الدسوقي من هو الّذى سبق الزمخشري في هذه القضية ولكن أبو حيان التوحيدي صرَّح بأنَّ محمد بن مسعود الغَزنِيّ يقدر فعلاً محذوفاً بين همزة الاستفهام والعاطف. إذ قال أبو حيان :«فأَمَّا قوله تعالى :«أولم يسيروا »،«أفلم يسيروا» فزعم الزمخشري ومحمد بن مسعود الغَزنِيّ أنَّ بين همزة الاستفهام وحرف العطف الَّذى يليه «لم»و«لمَّا»في قوله «أولمَّا أصابتكم » فعلاً محذوفاً . ومذهب الجمهور أنَّ حرف العطف عطف َما بعده على الجملة قبله والتقدير وألم وألمَّا. لكنه اعتنى بهمزة الاستفهام فقدّمت؛ لأنَّ الاستفهام له صدر الكلام (٨٢).

ومحمد بن مسعود الغَزنِيّ علم من أعلام العربية لا نعرف عن أخباره غير نزر يسير وقد ذكرَ السيوطي بأنَّه لا يعرف شيئاً من أحواله (٨٣)؛ والغَزنِيُ هذا تُوُفِّي سنة ٤٢١ للهجرة إذ قال حاجي خليفة:البديع في النحو للشيخ محمد بن مسعود الغَزنِيّ المتوفّى سنة ٤٢١هـ ذكره ابن هشام فى المغني وسمّاه ابن الزكي وأكثرَ أبو حيان من النقل عنه (٨٤) .

ولكن الزمخشري كما ذكرنا سالفاً وُلد فى سنة ٤٦٧ للهجرة أى أنَّه ولد بعد الغَزنِيّ ما يُقارب نصف قرنٍ ، وإنَّ صاحب الكشاف لاحقٌ للغَزنِيّ ،أي أنَّ الغَزنِيّ سبق الزمخشري إلى القول بتقدير فعل محذوف بين همزة الاستفهام والعاطف. وهذا يُؤيِّد ما صَرَّح به الدسوقي، ففي هذه القضية أيضاً نُسِبَ إلى الزمخشري ما ليس له، وإنَّه كما بيَّنا في هذا الرأي متَّبعٌ لا مبتدعٌ.

٣-٥. دلالة «لَمَّا» على معنى التوقُّع

الزمخشري عند بيان إعرابه لقوله تعالى :«أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولَمَّا يعلم اللهُ الَّذينَ جاهدوا منكم »(٨٥) ؛ قال: ولَمَّا بمعنى لم إلَّا أنَّ فيها ضرباً من التوقُّع ، فدلَّ على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقُّعه فيما يستقبل، وتقول: وعدني أن يفعل كذا ولَمَّا، تريد ولم يفعل وأنا أتوقَّع فعله (٨٦). وأبو حيان التوحيدي نفى معنى التوقع عن لَمَّا وقال :لا أعلم أحداً من النحويينَ ذكره. وإليك نصَّ قوله: قال التوحيدي: «وهذا الَّذي قاله في «لَمَّا» أنَّها تدلُّ على توقُّع الفعل المنفي بها فيما يستقبل لا أعلم أحداً من النحويين ذكره بل ذكروا أنَّك إذا قلتَ : لَمَّا يخرج زيدٌ ، دلَّ ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى متّصلاً نفيه إلى وقت الإخبار. أمَّا أنَّها تدلُّ على توقُّعه فى المستقبل فلا (٨٧) .

مناقشة المسألة:

تدخُلُ «لَمَّا» على المضارع وتجزمه ، كقوله تعالى:«قالت الأعراب آمنَّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولَمَّا يدخل الإيمان في قلوبكم»(٨٨)؛ وكذلك الآية المباركة « أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولَمَّا يعلم اللهُ الَّذينَ جاهدوا منكم » (٨٩) ؛ وقال الزمخشري فى الكشاف أنَّ لَمَّا بمعنى لم إلَّا أنَّ فيها ضرباً من التوقُّع . وردَّ عليه أبو حيان -كما ذكرنا آنفاً- وزعم أنَّ النحويينَ لم يذكروا معنى التوقع لـ«لَمَّا» وصاحب الكشاف هو وحده ذهب إليه وتفرَّدَ به. ولكنَّني حين بحثتُ عن هذا الرأي فى كتب المتقدّمين، وجدت كثيراً من النحاة قالوا به ومنهم: ذكر الأزهري في حديثه عن لَمَّا :«قال

الخليل :«لَمَّا » تكون انتظاراً لشيء متوقَّع. وقال الكسائي:«لَمَّا » تكون جحداً فى مكان ، وتكون وقتاً فى مكان، وتكون انتظاراً لشيء متوقَّع فى مكان ، وتكون بمعنى إلّا فى مكان (٩٠).

وقال سيبويه:«ولَمَّا يفعل وقد يفعل،إنَّما هما لقوم ينتظرون شيئاً. فمن ثَمَّ اشبهت قد لَمَّا فى أنَّها لايفصل بينها وبين الفعل(٩١).

وقال الرضيّ:«اعلم أنَّ لَمَّا كما قالوا كان فى الأصل (لم) زيدت عليها (ما) ... فاختصّت بسبب هذه الزيادة بأشياء .أحدها:أنَّ فيها معنى التوقّع كقد فى إيجاب الماضى .فهو يستعمل فى الأغلب فى نفى الأمر المتوقَّع .كما يخبر بقد فى الأغلب عن حصول الأمر المتوقَّع تقول لمن يتوقَّع ركوب الأمير:قد ركب الأميرأو لَمَّا يركب (٩٢). وإنَّ دلالة (لمّا) على معنى التوقع لم تكن من انفرادته بل نُسبت اليه بلا دليل كسائر القضايا الّتى ناقشناها في هذه الدراسة اليسيرة.

٤ . نتائج البحث

٤-١. كلّ ما جئنا به يجعلنا نتحفظ على جميع ماعزاه النحويون إلى الزمخشري من آراء نحوية وذهبوا إلى أنها من انفراداته و كان هو أوّل من قال بها .

٤-٢. هناك فى اللغة العربية مسائل وقضايا هامّة يجب على الدارسين أن يتَّبعوها ويبيِّنوا دقائقها إيضاحاً للصواب وابتعاداً عن اللبس والغموض.

٤-٣. إنَّ هذه الدراسة بيَّنت لي كثيراً من الاختلاف بين بعض المصادر الناقلة والمنقولة منها ووجوب الرجوع إلى مصادره الأصلية.

٤-٥. توصلنا في هذه الدراسة إلى أنَّ بعض ردود العلماء بعيدة عن المنهج العلمي تجعل من النحويين أَعداء وتجعلهم بين متهماً ومحاميا كقول أبي حيان «هذه نزعة زمخشرية» يريد انفراده بهذا الرأي ولا يخفى على القارئ ما فيها من تعريض به وسخرية تدلُّ على تضعيف رأيه وعدم صحّته.

الهوامش

١- ابن خلكان، ج٨، ص ٥١٦.
٢- الحموي ،ج٧، ص .١٢٦
٣- السيوطي ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة،ج٢، ص.٢٨٠
٤- ابن خلكان ،ج٥، ص.١٧٣
٥- ابن كثير،ج١٢، ص.٢١٩
٦- ابن العماد الحنبلي، ج٤، ص .١١٨
٧- الذهبي،ج٢٠، ص.١٥١
٨- بني الدومي ، ص .٢٥
٩- الحموي،ج٥، ص.٤٨٩
١٠- ابن خلكان ،ج ٥، ص.١٦٨
١١- شوقى ضيف، ص .٢٨٣
١٢- الجويني، صص ٧٩-.٨٠
١٣- بهيجة الحسني، صص ١٠-٢٠باختصار.
١٤- محمود حسيني محمود، صص٤٠٩-٤١٣باختصار.
١٥- ابن خلكان ، ص.١٠٧
١٦- نفس المصدر، ص.٢٥٤
١٧- الزمخشرى ، المفصَّل فى علم العربي، د.ت، المقدمة.
١٨- محمود حسيني محمود، صص٤١٧-.٤١٨
١٩- ضيف، ص .٢٨٦
٢٠- السامرائي، ص.٢٦٧
٢١- ابن هشام،ج٢، ص٥٦٤-.٥٦٥
٢٢- الأزهر،ج١، ص.٥٨٧
٢٣- الزمخشري، المفصل، ص .٧٢
٢٤- سيبويه، ج٢، ص .٣٤٢
٢٥- الصافات: ص .١٦٤
٢٦- النحاس ، ص.٨٥٦
٢٧- الحجر:.٤
٢٨- القيسي،ج٢، ص .٤
٢٩- المبرد ، ج٤، ص .١٢٥
٣٠- السامرائي، ص.٢٤٥
٣١- القلم :.٢
٣٢- الزمخشري، الكشاف،ج٤، ص .٥٧٣
٣٣- الزجاج،ج٥، ص.٢٠٤
٣٤- الكتاب،ج٣،ص.١١٧
٣٥- الأعراف: .١٤٣

٣٦- الحج: ٧٣.
٣٧- الأنعام: ١٠٣.
٣٨- الحج: ٧٣.
٣٩- الزمخشري،الكشاف، ج ٢، ص ١٤٨-١٤٩.
٤٠- ابن مالك، ج٣، ص١٥١٥.
٤١- ابن هشام،ج١، ص ٣٧٤.
٤٢- مريم: ٢٦.
٤٣- البقرة: ٩٥.
٤٤- السيوطي، الإتقان فى علوم القرآن، ج٢،ص٢٧٩.
٤٥- البقرة: ٢٤.
٤٦- الحجّ: ٧٣.
٤٧- ابن يعيش،ج٨، ص ١١١-١١٢.
٤٨- شوقى ضيف، ص ٢٨٦.
٤٩- الخليل ، د.ت،ج٨، ص ٣٥٠.
٥٠- البقرة:٩٥.
٥١- الاسكافي،ج١،ص ٢٦٧.
٥٢- الأعراف:١٤٣.
٥٣- الشريف المرتضى، نفائس التأويل، ج٢،ص٣٦٣-٣٦٤).
٥٤- الكهف: ٦٧.
٥٥- الشريف المرتضى، غرر الفوائد ودررالقلائد،ج٢، ص١٦٦.
٥٦- الزمخشرى ،الكشاف،ج١، ص١٠٧.
٥٧- أبوحيان،١٩٩٣م،ج١، ص٢٤٩.
٥٨- السامرائي، ص ٢١٧.
٥٩- الكهف: ٦٠.
٦٠- المفصل، ص٣٠٧.
٦١- الزمخشري، الأنموذج فى النحو،ص٣٢.
٦٢- مغنى اللبيب، ج١، ص ٣٧٤.
٦٣- ابن مالك، ج٣، ص١٥١٥.
٦٤- السيوطي، ج٢، ص٣٦٥.
٦٥- شوقى ضيف، ص٢٨٦.
٦٦- البقرة:١٠٠.
٦٧- الزخرف: ٥.
٦٨- يونس: ٥١.
٦٩- آل عمران:١٠١.
٧٠- التكوير:٢٦.
٧١- الأحقاف:٣٥.
٧٢- الأَعراف: ٦٣.
٧٣- الزخرف: ٥.
٧٤- الجاثيةُ: ٣١.
٧٥- البقرة: ٤٤.

٧٦- البقرة: .١٠٠
٧٧- ابن هشام الأنصاري،ج١ ص٢٣ بتصرف وخالد الآزهري،ج٢، ص .١٥٥
٧٨- الأعراف:١٨٥.
٧٩- المغني، ج١، ص.٢٢
٨٠- البحر المحيط ،ج٣، ص.٢٧
٨١- حاشيّة الدسوقي على المغني، ص.١٣
٨٢- أبو حيان ، ارتشاف الضرب ،ج٢، ص.٦٦١
٨٣- السيوطى ، بغية الوعاة، ج١، ص.٢٤٥
٨٤- حاجى خليفة ، ج١، ص.٢٣٦
٨٥- آل عمران:١٤٢.
٨٦- الزمخشري، الكشاف،ج١، ص.٤١٢
٨٧- أبوحيان، البحر المحيط ،ج٣،ص.٧٢
٨٨- الحجرات:.١٤
٨٩- آل عمران:.١٤٢
٩٠- أبوالمنصور الأزهري ،ج١٥، ص.٣٤٥
٩١- سيبويه،ج٣،ص.١١٥
٩٢- الرضيّ،١٩٨٢م، ج٢، ص٢٥١.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان
عباس، دارالثقافة ، بيروت- لبنان، د.ت.
٣- ابن مالك أبوعبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجيانيّ:شرح الكافية الشافية، تحقيق:عبد المنعم
أحمد هريري،ط١،دار مأمون للتراث، مكة، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.
٤-ابن هشام الأنصاري جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،حققه وعلق عليه مازن المبارك ومحمد
على حمد الله، ط٢،گلستانه، ١٣٧٠ ش .
٥-ابن يعيش موفّق الدين يعيش بن علي: شرح المفصّل،إدارة الطباعة المنيرية،مصر،د.ت .
٦- أبوحيان التوحيديّ الأندلسيّ محمد ابن يوسف: إرتشاف الضَرَب من لسان العرب، تحقيق:رجب عثمان
محمد،ط١،مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- البحر المحيط، تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،ط١، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
٨- أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد المعروف بابن العماد الحنبلى:شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، دارالكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٩- أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق:إبراهيم الابياري، دار الكاتب العربى، مصر،١٩٦٧م.
١٠ - الأزهري خالد: شرح التصريح على التوضيح، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١،دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان،١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
١١- الإسكافي أبو عبدالله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب ، درّة التنزيل وغرّة التأويل، تحقيق:محمد مصطفى آيدين،ط١،جامعة أم القرى،١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
١٢- - بروكلمان كارل ،تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر،١٩٦١م.
١٣- بني الدومي محمد محمود : القراءات المتواترة في تفسير الكشاف، رسالة الماجستير، إشراف محمد علي الحجازى، ١٤٢٥هـ، لا.ن، ٢٠٠٤م.
١٤- الجوينى مصطفى الصاوي : منهج زمخشري فى تفسير القرآن و بيان إعجازه، ط٢، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، د .ت.
١٥- حاجى خليفة مصطفى بن عبد الله:كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دارالفكر، مكَّة، د. ت.
١٦- الحسني بهيجة: رسالتان للزمخشري،المجمع العلمى العراقى،المجلد الخامس عشر،عام١٣٨٧.
١٧- الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله :معجم الأدباء ، تحقيق عمر فاروق ، مجلدان، ط١، موسسة المعارف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٩م.
١٨. الدسوقي مصطفى محمد :حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٩- الذهبي أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم الأرنوسى، ٢٣جزء، ط١،موسسة الرسالة، بيروت،د.ت.
٢٠- رضيّ الدين الاسترآباذي،:شرح الكافية، ط٣ ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
١٧- الزجّاج أبو إسحاق ابراهيم بن السري المعروف بـ (الزجاج)،:معاني القرآن و إعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبدة شلبي،ط١،عالم الكتب، بيروت،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٨- الزمخشري أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، رتبه وضبطه وجمعه :محمد عبد السلام شاهين، ٤ مجلدات، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- المفصَّل فى علم العربية، بذيله المفضّل فى شرح أبيات المفصّل ، محمد بدرالدين أبي فراس النعساني الحلبي، ط٢، دار الجيل ،بيروت- لبنان،د.ت.
- الأنموذج فى النحو ،تحقيق:سامي بن حمد المنصور، ط١،لا.ن، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢١- السامرائي فاضل صالح:الدراسات النحوية واللغوية عندالزمخشرى،مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠هـ١٩٧١م .
١٩- سيبويه أبو بشرعمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٣،مكتبة الخانجى، القاهرة ،
١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٠-السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر: بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،مجلدان، المكتبة العصرية ،صيدا-لبنان ، د.ت.
- الإتقان فى علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع، تحقيق:عبد الحميد هنداوى ، مكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.
٢١- الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوي العلوي: نفائس التأويل، تحقيق: السيد مجتبى أحمد الموسوي، شركة الأعلمى للمطبوعات، بيروت-لبنان،د.ت.
- غرر الفوائد ودررالقلائد، تحقيق:محمد أبوالفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، د.ت.
٢٢- ضيف شوقي :المدارس النحوية، ط٢، دار المعارف ، مصر، د.ت.
٢٣- الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، لا.ن، د.ت
٢٤- القيسّي مكيّ بن أبي طالب : مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، دار البشائر، ١٤٢٤- ٢٠٠٣ م.
٢٥- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة،لجنة إحياء التراث الإسلامى، القاهرة،١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٢٦- النحّاس أبوجعفرأحمدبن محمد بن إسماعيل:إعراب القرآن، تحقيق:خالد العلى،ط٢،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

A Study on Validity of Views Ascribed to Al-Zamakhshari

Mohammad Khaqani Isfahani **Keyfyyeh Ahvazian**

Abstract

In the Arabic literature, there are cases and problems that require investigation and explanation. In order to avoid any confusion and vague about them and to reveal their reality, they should be examined as accurately as possible. There are a plenty of such cases and problems in the Arabic literature which are disseminated within original and authentic books. One of these cases, which are of importance, is the views that the early and late scholars after another had attributed to Al- Zamakhshari who was attacked and criticized strongly by them. However, by referring to his books and the other references, the opposite becomes true and it is revealed that those criticisms were lack of logical supports and arguments. On the other hand, there are large discrepancies between the books narrating the quotations of scholars and those of books from which the quotations were adapted. For this reason, referring to the original books as well as to Al- Zamakhshari's is

necessitated and the scholars narrating the Al- Zamakhshari's quotations must reflect his views methodologically in order to keep away from any confusion and bias.

Keywords:Quran, Al- Zamakhshari, views,Books ,Attributing

القسم الثاني

الأحوال العامة للأندلسيين في غرناطة بعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي
دراسة تاريخية

أ.د. وجدان فريق عناد
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

خامساً:- الحياة الاجتماعية للأندلسيين بعد إنتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة

كان التركيب السكاني للمجتمع الأندلسي قبل انتهاء الحكم الإسلامي يتكون من العرب والبربر والقوط والمستعربين والمعاهدين، ومن أعتنق الإسلام سمي بالمسالمة أو الأسالمة، ومع ذلك كان الجميع يتمتع بالحقوق المدنية من دون أي تفرقة عنصرية [١] .

ولكن بعد سقوط غرناطة عاشت الأندلس حالة مختلفة ضاعت فيها الحقوق والواجبات، إذ تحول القشتاليون إلى جواسيس لمراقبة تحركات الأندلسيين، فهم أعداء الكاثوليكية، وعدّوا لغتهم العربية لغة نجاسة، وعاداتهم الاجتماعية تصرفات مشبوهة، وعاشوا غرباء في بلدهم مضطهدون ومراقبون، إلا أن قسوة الاضطهاد تختلف من مكان إلى آخر من غرناطة إلى قشتالة إلى بلنسية [٢] .

بدأ الاضطهاد الاجتماعي بعد تسليم غرناطة بمحاولة استفزاز أهل غرناطة من خلال إعادة توزيع السكان [٣]، فقد صدرت الأوامر بإبعاد من سكن المدينة في مدة قريبة من تسليمها، وجعلت حي البيازين مكان سكن المسلمين، أما المناطق الأخرى من غرناطة فقد نقل إليها ٤٠٠.٠٠٠ قشتالي، وقد التزم أهل غرناطة بالسكن في المناطق المخصصة لهم، إلا أن

ذلك لم يمنع من الاحتكاك مع القشتاليين، وكانت العلاقة بينهم غير ودية، لأن القشتاليين ينظرون إلى الغرناطيين بأنهم أعداء للقشتاليين والكاثوليكية، فضلاً عما كانوا يحملون من مشاعر الحسد للغرناطيين بسبب امتلاكهم الخبرة المهنية وارتفاع المستوى الاقتصادي [٤].

حتى إنهم أطلقوا على الأندلسيين الذين بقوا تحت الحكم الأسباني المسيحي المدجّنين أو أهل الدجن، وتحمل هذه التسمية الإهانة لأنهم لم يرحلوا إلى البلدان الإسلامية، فكانت تلك التسمية بمعنى الأستصغار من شأنهم. ولم يكن هناك فرق عند القشتالين في معنى الأندلسي فهو المسلم أو العربي، فالصفتان مشتركتان تكمل أحدهما الأخرى، إذ كانتا سبباً كافياً لتوجيه الإتهام إليهم[٥]، وكانوا يطلقون على الأندلسيين أسماء فيها معاني الإهانة والتحقير مثل (moros y marranos)[٦]، وأطلق عليهم اسم أهل البدع [٧]، ووصفوهم بالثعابين والضفادع والذئاب والعقارب السامة [٨].

كما حظرت السلطة القشتالية على الأندلسيين الوظائف العسكرية والحكومية والمدنية واشترطت لمن يعمل فيها تقديم شهادة تثبت نقاء الدم من الدماء الأخرى، كدماء اليهود والمسلمين، أو تقديم ما يثبت كونه من النصارى القدماء أو ينحدر منهم مباشرة، لذلك كان معظم الأندلسيين يعملون في المهن والحرف المختلفة[٩].

وبعد فشل الثورة الأندلسية الأولى أصدر فرنادو في عام ١٥٠٨م مرسوم ملكي يمنع الأندلسيين من استعمال اللغة العربية وممارسة التقاليد والعادات العربية الإسلامية[١٠]، ومن يغني أو يعزف على آلة عربية فهو كافر، من يطبخ على الطريقة الأندلسية لاسيما الكسكس فإنه يعاقب عقاباً شديداً، ومن يتزوج من الأقارب يعدّ كافراً، ومنع استعمال أي مصطلح أندلسي قديم في كلامهم، ومنع الأندلسيين من لباسهم التقليدي ومأكولاتهم وترتيب أثاث منازلهم بطريقة آبائهم، وإجبارهم على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وعلى جعل باب المرحاض على شكل باب المسجد ويكتب عليه مسجد (mezquita) [١١].

وصدر قانون في عام ١٥١٣م يمنعهم من التجول في أنحاء اسبانيا أي الإقامة الجبرية [١٢]، إلا أن المرسوم لم يأخذ حيز التنفيذ الفعلي لأن فرناندو كرس جهوده لتثبيت أركان مملكته، وصراعه مع فرنسا، فضلاً عن عدم إثارة النبلاء الذين يعتمدون الأندلسيين في إدارة أراضيهم الزراعية.

وفي عهد كارلوس الخامس وعد بعدم التدخل في شؤون الأندلسيين كمكافأة على موقفهم المؤيد له في ثورة المدن ١٥٢٠-١٥٢٢م[١٣]، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً، وصدر في عام ١٥١٨م قانون يعاقب وبشدة كل من يساعد الأندلسيين من أصل مسلم بالوصول إلى الأراضي المكتشفة حديثاً، وفي عام ١٥٢٢م أصدر كارلوس الخامس قانون يمنع المسيحين من أصل عربي من دخول أمريكا [١٤].

وفي عام ١٥٢٥م صدر مرسوم يؤكد على التشدد في تطبيق الأمر الملكي الصادر في عام ١٥٠٨م، وأضاف إليه محظورات جديدة، ولم ينفع اعتراض زعماء غرناطة على المرسوم لأن اللجنة التي شكلها برئاسة رئيس أساقفة قادس للنظر في مطالب الأندلسيين أوصت بتأسيس محكمة للتفتيش في غرناطة، والتشدد في تنفيذ الأوامر الملكية الصادرة في عام ١٥٠٨م و١٥٢٥م، وأخذت التوصيات التي وضعتها اللجنة محل التنفيذ في العام التالي، والتي تضمنت منع استعمال اللغة العربية في الحوار، ومنع ارتداء الملابس الأندلسية، ومنع الختان للأولاد، ومنع طلاء الأظافر بالحناء، وإجبارهم على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، وأكل لحوم الحيوانات التي تموت طبيعياً دون ذبحها، وغيرها [١٥].

وفي عهد كارلوس الخامس وضعت لائحة خاصة تحدد فيها أنواع التهم التي وجهت للأندلسيين، وقام المحقق العام الفونصو مانريك بتلك المهمة، ووضعت اللائحة في الأماكن العامة، التي جاء في مقدمتها ضرورة الإبلاغ عن الممارسات المذكورة في اللائحة في ستة أيام من رؤيتها، وإلا تعرض للعقوبات ومخالفة تعاليم الكنيسة الكاثوليكية ـ وقد تضمنت اللائحة (٣٦) بنداً، منها أن يسمع أو يرى " أن دين محمد هو الأفضل، وأن لاسبيل لغيره إلى الجنة، وإن المسيح نبي وليس إلها، وإن أمه لم تكن عذراء، وإذا سمعنا أو رأينا أن المسيحيين الذين تم تعميدهم يقومون ببعض طقوس أعياد دين محمد مثل الاحتفال بيوم الجمعة بأكل اللحم، وقولهم إنه حلال، وكذلك تزيينهم بقميص نظيف وملابس أحسن من بقية الأيام الأخرى، وإذا ذبحوا الدواجن أو الحيونات قاطعين العنق بسكين وتاركين إشارة على الرأس ومحولين وجهة الرأس نحو المشرق وقائلين باسم الله ورابطين أرجل الحيوان المذبوح، وإذا رفضوا أكل لحم الحيوانات غير المذبوحة أو التي ذبحتها النساء، وإذا ختنوا أبنائهم أو لقبوهم بأسماء عربية، أو أظهروا الفرح بتلقيبهم بتلك الأسماء ونادوهم بها، وإذا قالوا وجب الإيمان بالله وإن محمداً

نبيه، وإذا حلفوا بكل الأيمان القرآنية، وإذا صاموا رمضان وراعوا ذلك أثناء عيد الفصح وسلموا بعض الصدقات، ولم يأكلوا ولم يشربوا حتى يلاحظوا النجمة الأولى، واستفاقوا ليأكلوا قبل طلوع النهار أو غسلوا أفواههم ورجعوا الى فراشهم، وإذا توضأ وا فغسلوا السواعد والأيدي حتى المناكب والوجه والفم والأنف والأذنين والساقين والأعضاء الجنسية، وإذا صلوا وحولوا وجهتهم نحو الشرق فوق حصير أو قطعة قماش، ثم حركوا رؤوسهم قائلين بعض الكلمات العربية وقائمين بغيرها من الصلوات المحمدية، وإذا احتفلوا بعيد الأضحى بعد الوضوء، وإذا تزوجوا على سنة محمد، وإذا غنوا الأغاني العربية ونظموا حفلات أو رقصات وضربوا آلات موسيقية ممنوعة، وإذا وضعوا على أبنائهم أو أشخاص آخرين شكل يد بخمسة أصابع كذكرى للفرائض الخمس، وإذا احترموا تعاليم الإسلام الخمسة، وإذا غسلوا موتاهم ولفّوهم في كفن من قماش أبيض ودفنوهم في أرض بكر أو في قبر عميق واضجعوهم فيه واضعين حجارة تحت رؤوسهم وتاركين على اللحد أغصاناً خضراء وشيئا من العسل والحليب وطعام آخر، وإذا تذكروا محمداً عند الحاجة وقالوا إنه نبي الله ورسوله، وقالوا إن أول بيت لله هو ببكة، وأن محمداً دفن فيها، وإذا قالوا إن العربي يجد الإنقاذ في إلتجائه إلى دينه واليهودي إلى عقيدته، وإذا اجتاز أحدهم البلاد الى المغرب أو غيرها وارتد عن المسيحية، وإذا قالوا أو فعلوا أي شيء مرتبط بدين محمد" ، وما أن علقت اللائحة حتى كثرت الوشايات ضد الأندلسيين، فتم القبض على أعداد كبيرة منهم وبدأت مصادرة ممتلكاتهم[١٦].

فزاد التشدد والتضييق على الأندلسيين حتى أقدمت محاكم التفتيش على إحراق أول مجموعة منهم في عام ١٥٢٩م، فأصابهم الذعر والخوف، ومن أجل تخفيف تلك الشدة والقسوة لجأ زعماء غرناطة إلى التفاوض مع مستشاري الملك كارلوس واتفقوا على تخفيف الضغوط مقابل دفع الاموال كضرائب ورشاوي إلى السلطة المدنية ومحاكم التفتيش[١٧].

ثم جاء عهد فيليب الثاني وأصدر في عام ١٥٦٧م مرسوم ملكي كان أكثر المراسيم الملكية قسوة فهو مرسوم شرير، أصر فيليب الثاني على تنفيذه مهما كانت النتائج، فهذا المرسوم أكد ما جاء في المرسوم الملكي الصادر سنة ١٥٠٢م من عدم استعمال اللغة العربية، وزاد عليه فرض تعلم اللغة القشتالية خلال ثلاث سنوات، ومنع الوضوء، فأستعاض الأندلسيون عنه بالاستحمام، فجاء مرسوم فيليب ليمنع الأندلسيين من دخول الحمام، وأجبر

الأندلسيون على إتمام مراسيم الزواج والولادة والموت وفق الطقوس الكاثوليكية، وفرض حضور قابلة قشتالية في ولادة الأطفال الأندلسيين، ومنع الختان لأي سبب، كما فرض إبقاء الأبواب مفتوحة، وحظر ارتداء الملابس الأندلسية ومنع الوقوف باتجاه القبلة، ومنع الزواج من أكثر من إمرأة واحدة، ومنع استعمال النساء للحناء، وحرم عليهم اللجوء للكنائس طلباً للأمان، وفرض على الأندلسيين دفن موتاهم في نعوش مغلقة وفق التقاليد القشتالية[١٨].

وفي عام ١٥٩١م صدر مرسوم أجبر الأندلسيين على دفن موتاهم في ساحات خصصت لهم بجوار الكنائس مع المسيحيين، وقبل ذلك كانت لهم مقابرهم الخاصة، ثم صدر قانون آخر يجبرهم على دفن الموتى داخل الكنيسة، فقدموا طلب لفيليب الثالث عرضوا في ثلاثين ألف دوقة ذهب مقابل السماح لهم بدفن موتاهم حتى لو في المزابل، ولكنه رفض الطلب وأصر على تنفيذ قانون الدفن في داخل الكنيسة، التي كانت تنبش قبور الأموات من الذين يتهمون بعد موتهم بالارتداد عن الكاثوليكية وتجمع عظامه في كيس وتحرقه في احتفال وسط المدينة، ومنذ نهاية القرن السادس عشر لم تكن عقوبة الحرق تقتصر على المرتدين، بل شملت من يحاول الهروب إلى المغرب أو فرنسا، ومن يقرأ الكتب العربية، وكانت العقوبات تشمل أسرة المتهم، فقد كانت تجبرهم على ارتداء لباس العار (san benito) لمدة طويلة وهو عبار عن رداء ليس فوقه شيء، مرسوم عليه صليبان باللون الأصفر من الأمام والخلف [١٩].

وهكذا وصل الأمر من الشدة والتضييق إلى إصدار مرسوم جعلهم تحت المراقبة في الطريق والعمل والبيت، ولم يعد من حقهم إغلاق أبواب بيوتهم، فمن حق القشتالي الوقوف بباب البيت ومراقبة أهل الدار، وتشجيع الأولاد والبنات والأخوة على الوشاية بآبائهم وأخوانهم وجيرانهم، ومن الوثائق الكنسية يبدو أن من بين التهم الموجه للأندلسيين هو اعتزازهم بعروبتهم، فكان ذلك سبباً كافياً لفرض العقوبات القاسية عليهم، فقد حفظت تلك الوثائق محاكمة أندريس لوبيث الغرناطي، وهو الاسم المسيحي الذي فرضته عليه الكنيسة الذي كان ضمن المنفيين عن غرناطة، إذ عدّ كلامه عن حلمه بالعودة إلى زوجته وابنه وبالحرية وإعلانه أنه عربي، مخالفة يستحق عليها العقاب، لأنه عبر عن إحساسه بألم الفراق ومرارة المنفى، وكذلك محاكمة الأندلسي لورنزو لوباث الذي باعوه في طليطلة بعد أن فقد حريته وأصبح عبد بموجب

المراسيم الملكية ضد الأندلسيين، فبعد أن تمكن من الفرار من مالكه والتحق بالأندلسيين في الجبال، تم القبض عليه، ومنعوا عنه الماء، وأحرق لأنه عربي، ورجموه بالحجارة، وكان يصيح بأعلى صوته "أنا عربي حتى نخاع العظم" [٢٠]، وكذلك فعلت ايزابيلا الأندلسية التي شتمها أحد الجنود قائلا لها "انت كلبة العرب" فغضبت منه وردت "أنا عربية، وأبي وأمي كانا عربيين، وأنا عربية وسأموت عربية"، ولم يختلف الأمر مع السيدة الأندلسية التي سمعت الأولاد القشتاليين يشتمون ابنها لكونه عربي، فغضبت وقالت "العربي أفضل من المسيحي" فكان جزائها أن حملت إلى المحكمة وهي مكبلة بالقيود الحديدية، وكانت العقوبة مصادرة أملاكها[٢١].

كما حفظت لنا الوثائق الكنسية مقتطفات من أقوال الأندلسيين تبين قوة الأندلسيين وهم في تلك المحنة، منها الأندلسي خيرمينو دو روخاس الذي قال لعمال محاكم التفتيش "جلالة الملكة الكاثوليكية إيزابيلا ليست موجودة في الجنة كما يقول المسيحيون بل في الدرك الأسفل من جهنم، لأنها أسست هذه المظلمة ..." [٢٢].

ومن الأندلسيين الذين تعرضوا لاضطهاد محاكم التفتيش سيدة تدعى إيزابل دوغوردا لأنها أكلت عند جارتها المسيحية لحم الخنزير، ولم تخبرها جارتها عنه إلا في أثناء الحديث، فوضعت أصبعها في فمها للتقيؤ . وفي عام ١٥٣٨م هاجم عمال محاكم التفتيش بيت خوان البرغشي نسبة إلى مدينة برغش، فوجدوه مع مجموعة من الأصدقاء يعزفون الموسيقى ويأكلون الكسكس، فألقي القبض عليهم بتهمة التصرف وكأنهم على أرض إسلامية، والعزف بألحان غريبة، واستعمال الأسماء الإسلامية [٢٣].

وقد تمكن خوان أنطونيو لورنتي الذي كان يشغل منصب الأمين العام لمحكمة التحقيق في مدريد، والذي كلف بعد دخول الفرنسيين إلى اسبانيا مهمة ضبط إرشيف تلك المحاكم، فكان صاحب أهم مرجع عن محاكم التحقيق الاسبانية في أربعة أجزاء طبع في ١٨١٧- ١٨١٨ م، فذكر إن عدد الأندلسيين الذين حمكت عليهم محاكم التحقيق العقوبات والغرمات بلغ ٢٧١.١٥٠ شخصاً، والذين أحرقت تماثيل رمزية لهم لأنهم تمكنوا من الهرب والاختفاء ١٧.٦٥٩ شخصاً، فكان المجموع ٣٠٣.٣٦٢ أندلسي وأندلسية، ويذكر أن في مدينة مرسية تم حرق ١٣٢ شخصاً ومعاقبة ٢٢٧ بعقوبات مختلفة خلال الأعوام ١٥٥٧- ١٥٦٣، وفي طليطلة في الأعوام ١٥٧٥- ١٦١٠ كان عدد ضحايا الأندلسيين المتهمين بممارسة الشعائر الاسلامية

١٩٠، وأصدرت محكمة التحقيق في طليطلة في عام ١٧٢٨م عقوبة الحرق بحق ٧٣ من نسل الأندلسيين بعد سنة من السجن والتعذيب، بتهمة الهرطقة بعد مداهمتهم في أحد المنازل وهم يؤدون الصلاة [٢٤].

وكانت الأحكام التي تصدرها محاكم التفتيش نهائية غير قابلة للاستئناف، ويجب على السلطة المدنية تنفيذ الحكم في خمسة أيام بموجب قرار البابا أنوصان الرابع في عام ١٢٥٢م، فقد أمرت بإحراق الآلاف، فضلاً عن عشرات الآلاف الذين حكمت عليهم بالسجن المؤبد أو العمل في سفن القواديس مدى الحياة، وعاش ألوف منهم تحت شعور الاضطهاد والقهر والفقر وتقييد الحريات، و على الرغم من ذلك أثبت الأندلسيون الشجاعة والقوة، حتى وهم تحت سياط التعذيب وألسنة النيران تحيط بهم في أقبية محاكم التفتيش، فقد فشلت الكنسية الكاثوليكية بعد ١٠٠ عام من إذابة الأندلسيين في المجتمع القشتالي الكاثوليكي، لذلك كانت حكومة فيليب الثالث حائرة في كيفية التعامل مع الأندلسيين بعد فشل الكنيسة في تحقيق أبسط أهدافها، لذلك كان قرار الطرد عن وطن سكنه أجدادهم مدة ٩٠٠ سنة [٢٥].

وربما من المهم الإشارة إلى أن المجتمع القشتالي لم يكن ينظر إلى الأندلسي الذي تنصر وحضر القداس بخشوع، وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر وجمع التبرعات للكنيسة، على أنه مساو للنصراني القديم، ويبقى نصرانياً من الدرجة الثانية . كما أن الكنيسة ومحاكم التفتيش عززت في نفوس المجتمع الكاثوليكي القشتالي أن الإبلاغ عن الهرطقة واجب ديني وقومي، فضلا عن حصول الواشي على مكافأة مالية وشهادات حسن سلوك يمكن استعماله مع شهادات نقاء الدم للحصول على المناصب الرفيعة، وبعد تنفيذ قرار نفي الأندلسيين من غرناطة إلى مدن قشتالة وأرغون، عاش الأندلسيون كأقلية مقهورة بين غالبية متسلطة تنظر اليهم كأقلية كافرة للكاثوليكية وعدوة للسلطة، فلم يشعر الأندلسيون بالأمان بينهم، وكذلك القشتاليين إن وجد بينهم أندلسي، وكان من مصلحة السلطة والكنيسة ومحاكم التفتيش أن تعمل على إبقاء العداوة والشكوك بينهم [٢٦].

لقد حاول الأندلسيون الأوائل مقاومة القيود التي فرضت عليهم بكل المستطاع والممكن، واستمرت الأجيال المتعاقبة على المنهج ذاته، ولكنهم وجدوا أنفسهم يفقدون بالتدريج لغتهم كلغة للتواصل والمخاطبة، بعد ذلك الزمن الطويل من محاربة وتحريم اللغة العربية [٢٧]، فاضطروا الى ترجمة القرآن الكريم والحديث النبوي والكتب الفقهية باستعمال الحروف العربية في

الكتابة، وذلك من حرصهم على المحافظة على شعائرهم وعاداتهم وتقاليدهم، فاستمروا بالتخاطب فيما بينهم سراً بالعربية المحكية، وإن كان قسم كبير منهم لا يعرف كتابة العربية، واختلطت عاداتهم، وانتشرت الأمية والأمراض، عاشوا محرومين من العيش في بيئة نظيفة، ومنعوا من العمل بالتجارة والمهن، فلم يكن أمامهم غير أن يعملوا حمالين وفلاحين بالسخرة أو بأجر رمزي، وممنوع عليهم حمل السلاح الذي هو من مظاهر الحرية، فممارستهم لأبسط الحقوق تجعلهم مارقين وأعداء [٢٨].

وخير مايصف أحوالهم قول أحد الأندلسيين " كنا مضطرين أن نظهر لهم ما كانوا يرغبون منا إظهاره، وما عدا ذلك كانوا يسوقوننا إلى محاكم التحقيق لاتباعنا الحقيقية، لقد حرمونا من الحياة والأملاك والأبناء، وزجوا بنا في سجون مظلمة لأتفه الأسباب، ونظراً إلى سوء أفكارهم كانوا يبقوننا هناك سنين عدة فيما يستولون على أملاكنا التي صادروها ويستغلوننا، من ثم يقولون إن لذلك الفعل مبرراً، ويخفون وراء ذلك أفكارهم السيئة وسريرتهم الضالة، أما أطفالنا فإنهم عندما يصبحون يافعين يربونهم على شاكلتهم ويصبحون مرتدين، وإذا كبروا يسعون إلى الهروب، فضلاعن ذلك كان حكام محاكم التحقيق يفتشون عن كل الوسائل للقضاء نهائياً على هذه الأمة" [٢٩].

وهناك جانب آخر للحياة الاجتماعية للأندلسيين بعد سقوط غرناطة كان يثير القشتاليين، فهم على رغم من كل الضغوطات التي كانت تمارس ضدهم حاولوا المحافظة على المرح في حياتهم بالقدر الذي سمحت لهم الظروف العامة، فكانوا ينظمون حفلات الرقص والغناء والطرب، وكانوا يجدون الطريقة للاحتيال على المراسيم المفروضة ضدهم، فهم بعد أن يحتفلون على الطقوس الكنسية يعودون إلى بيوتهم ويحتفلون على العادات والتقاليد الأندلسية، فإن عمدوا أطفالهم عادوا إلى البيوت وغسلوا رأسه وسبعوا، وكانوا يغسلون رأسه برقاق الخبز، من ثم يقرأ عليه الفقيه القرآن ويعطونه اسم عربي، ويلبسونه ثوب أبيض ويحتفلون بالرقص والغناء الأندلسي . وقد لجأ الأندلسيون إلى الحيلة من أجل تخليص أولادهم من التعميد، ففي أحدى القرى الأندلسية كانوا يعمدون مولوداً واحداً، وكلما جاء مولود جديد أخذوا الطفل المعمد سابقاً، ويظل الأندلسيون يستعيرون الطفل المعمد كلما رزق أندلسي بمولود جديد، فلم يتوجه أندلسي إلى القساوسة لطلب المساعدة حين يمرض أحدهم، وعندما يموت أحدهم يصلّون عليه ثم

يذهبون إلى الكنيسة بحجة أن الموت حصل فجأة ولم يتمكنوا من استدعاء القسيس. وكان الصمت أحد أهم الأسلحة، لأن الاعتراف كان البداية للعقوبة، فكانت محاكم التفتيش ترسل عمالها إلى مناطق الأندلسيين للتأكد من تنصرهم وتلقي الاعترفات، وكانت مهمتهم تنتهي بسرعة لأن الأندلسيين كانوا لا يعترفوا بأرتكاب أي ذنب وخطيئة . بيد أن الأندلسيين في منطقة ميرافات القريبة من مدينة طرطوشة كان رئيس الدير فيها ضعيف السمع، وينتظرون دورهم للاعتراف له، وكانت محاكم التفتيش تعرف أن الأندلسيين اتبعوا مبادئ الكاثوليكية ومارسوا الطقوس النصرانية خوفاً من العقاب، فهم عندما يذهبون إلى الكنيسة في عيد الفصح للاعتراف فإنهم يقدمون أنفسهم بأسلوب منظم لكنهم لايعترفوا بأي ذنب [٣٠].

كما كانوا على تواصل فيما بينهم في إقامة عدد من شبكات التواصل التي قد تكون مباشرة أو من خلال إرسال مبعوثين منهم إلى فرنسا أو العثمانيين لطلب المساعدة، وربما كان للعاملين منهم في النقل والتجارة دور فعال في ذلك التواصل، سواء في نقل المعلومات أو الكتب أو المساعدات المختلفة، كما كانوا يؤون إخوانهم المطاردين من قبل السلطة ومحاكم التفتيش، حتى يتم تهريبهم في القوارب التي تنطلق من جنوب الأندلس نحو المغرب أو الجزائر، أو عبر الجبال إلى فرنسا، ومنها يمكن لهم الانتقال إلى المغرب، أو إلى الأراضي العثمانية، ولم تكن المهمة سهلة، فالعقوبة هي الحرق أو الإعدام أو العمل مدى الحياة في السفن، لذلك كانت تجري بسرية تامة مع توقع العاملين فيها القبض عليهم، لذلك يجب الكتمان والتحفظ على كل المعلومات [٣١].

كما تمكن الأندلسيون من الهجرة من الأرياف إلى المدن القريبة، وأقيمت أحياء أندلسية معظم سكانها تحت خط الفقر، بسبب إنخفاض أعداد السكان في المدن الاسبانية، نتيجة الهجرة إلى المستعمرات الجديدة في العالم الجديد والحروب المستمرة .

وكان الطعام مشكلة كبيرة للأندلسيين لأنهم مجبورين على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، فقد كان لحم الخنزير السبب في القبض على كثير من الأندلسيين، ومنها الأندلسية القطالونية التي رأت القصاب يذبح الخنزير فاشمأزت من المنظر وقالت إنها لن تأكل لحم الخنزير حتى لو أصبحت ملكة، والأندلسي خوان هريرادور الذي رفض الأكل في صحن قدم عليه لحم الخنزير، ورفض استخدام سكين ذبح بها خنزير سابقاً، وفضل استخدام يده

في قطع اللحم، لذلك كانوا يتظاهرون بشراء لحم الخنزير، ويتظاهرون بأكله في البيت، إلا أنهم كانوا يطعمونه للكلاب .

كان الأندلسيون على الرغم من تظاهرهم بقبول التنصير، وبحكم الظروف التي يعيشونها في الأندلس حيث المراقبة والتضيق الدائم على كل ماهو أندلسي، إلا أنهم ظلوا محافظين على عقيدتهم، التي جعلت لهم حدوداً في التعامل مع الاسبان دون التمادي في الاختلاط، ومن يفعل ذلك يكون عليه مأخذاً، حتى أنهم يؤمنون بأن المسلم الذي مات بعد معاشرة مسيحي لمدة أربعين يوماً يكون مات على الكفر وأنه من أهل جهنم[٣٢] .

لذلك عندما صدر قرار الطرد النهائي للأندلسيين في شهر أيلول في عام ١٦٠٩م استنتجت السلطة والكنيسة أن لدى الأندلسيين قناعة بأنهم وصلوا مع القشتاليين نهاية الطريق، لذلك حاول بعض رجال الكنيسة والنبلاء لدوافع أقتصادية أقناعهم بالبقاء وقبول التعميد شكلياً، ولم يجد ذلك قبولاً عند الأندلسيين، الذين عرضوا عليهم أن استمرارهم في العمل لدى القشتاليين مرهون بموافقة الحكومة منحهم حقوقهم الدينية، وقامت بعض الشخصيات ومنهم دوق غندة بمحاولة أقناع الملك فيليب الثالث بإلغاء أو مراجعة أو تأجيل التنفيذ المرسوم الملكي، إلا أن الملك رفض ذلك وأصر على التنفيذ.

عندئذ رفض الأندلسيون العمل وبدأوا بالاستعداد للرحيل، حتى أن شعورهم بالخوف والتردد والقلق تحول إلى شيء من الأرتياح، لأنهم لن تعود بهم بحاجة إلى إخفاء قوميتهم العربية، ودينهم الإسلامي، وسيكون بإمكانهم ارتداء ملابسهم كما يحبون، ويتمكنون من الاغتسال متى يشاؤون، والتكلم باللغة العربية، وسيكون بمقدورهم تربية أولادهم من دون خوف ومراقبة، وسيكونون بأمان بعيداً عن عقوبات الحرق والتعذيب والسجن والعمل في السفن مدى الحياة . وخير وصف لحالهم في تلك الحقبة ما رواه القس داميانو فونسيكا حين قال: " كان اجتماعاً عاماً للفقهاء والرؤساء، ونُصح الموريسكيون بعدم القيام بانتفاضة مسلحة، وأقر الاجتماع العام ذاك أن الطرد سيكون شاملاً، ورفضوا حتى الإبقاء على الستة بالمئة منهم ليلقنوا المسيحيين فنون الزراعة "[٣٣].

وجاء وصف آخر من الأب فونسيكا الذي ذكر " لقد رفضوا ليس فقط العمل وجمع العنب وقطع قصب السكر، بل اعترفوا صراحة أنهم جميعاً مسلمون، وأكد أحدهم أن كل الأندلسيين في مملكة بلنسية عرب أيضا شأنهم

في ذلك شأن عرب الجزائر ... وكانوا يعترفون إذا دفُعوا إلى ذلك بأنهم عرب، وأنهم بقوا عرباً دائماً، وأنهم مستعدون للدفاع عن دينهم ومحاججتنا به" [٣٤].

لقد وجد الأندلسيين في قرار الطرد فرصة للتخلص من الجحيم الذي عاشوا فيه، حتى إنهم أظهروا الفرح والابتهاج، وقد وصفت التقارير التي كانت ترسل إلى الملك فيليب الثالث ذلك، منها رسالة دي ربيره في ٢٣ كانون الاول في عام ١٦٠٩م، وكان ذلك حال جميع الأندلسيين، حتى الأغنياء منهم، فقد عرض البقاء على أندلسي غني لديه أملاك كثيرة من مزارع للعنب والزيتون وحواكير وبيت كبير قدرت ٤.٠٠٠ بيزة ذهبية، ونظرا لسلوكه الجيد طول أثنتي عشر عاماً عرضت عليه السلطة البقاء، لكنه رفض وفضل الهجرة وترك كل ما يملك[٣٥] .

وربما يمكننا القول إن الفرح الذي أظهره الأندلسيين كان ردة فعل على قسوة القرار الذي انتزع منهم الأرض والأملاك والأبناء، وحتى ذكرياتهم في تلك الأرض التي عاشوا عليها ومن قبلهم الآباء والأجداد، وأظهروا الفرح لأنهم عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، فقد فشلت جميع الثورات التي قاموا بها ، ولم يجدوا العون من القوى الإسلامية في الخارج، كانوا يقاومون لوحدهم واحدة من أقوى القوى السياسية والدينية في العالم آنذاك، التي حرصت طوال السنوات الماضية على تجريدهم من كل الحقوق ومصادر القوة. وفي قرارة أنفسهم يسكن الحزن الذي نلمسه من الأغاني التي كانوا يرددونها، بيد أنهم أظهروا الفرح لأنهم رفضوا أن يرى القشتاليين فيهم الانكسار والخضوع والعجز، فكان الابتهاج نوع من الصمود أمام قسوتهم الطاغية .

لقد عانى الأندلسيون من المراسيم والقوانين التراكمية، فكانوا بنظر القشتاليين مسؤولين عن كل شر، حتى وصل الأمر إلى القول إن الخسائر العسكرية في عهد فيليب الثالث سببها غضب الله عليهم لوجود الكفار الأندلسيين بينهم، فمعاناة الأندلسيين لم تنتهي بل تعرضوا إلى القوانين والعقوبات التراكمية، حتى وجدت السلطات بعد مئة سنة من فرضها أنها لم تزد الأندلسيين إلا قوة، فهم صمدوا أمام أكبر وأقسى قوة في حينها، وهي محاكم التفتيش، بعد مئة سنة من الاضطهاد والاستئصال العرقي والديني، بقى الإسلام دين موجود في الأندلس، فقد خرج في عام ١٦٠٩ م مئات الألوف وهم لا يزالون متمسكين بديانتهم سراً [٣٦].

وعلى الرغم من كل المآسي التي جرت على تلك الأرض، والمعاناة القاسية للأندلسيين بعد سقوط غرناطة، لم تنجح السلطة القشتالية في إنتزاع وجودهم، فالدم العربي الإسلامي موجود" والحديث عن نقاء الدم الإسباني ضرب من الطرافة "، لأن الأندلسيين تبعثروا في المدن الأندلسية التي أختفوا فيها، أو البلدان التي هاجروا إليها وامتزجوا مع الآخرين، وقد وصلوا إلى أماكن بعيدة، لكونهم عبيداً بحكم الأوامر الملكية التي صدرت بحقهم، أو أكراها أو سخرة للتجذيف في السفن التي تنتقل بين إسبانيا وممالكها، أو هربوا من محاكم التفتيش، فالدم الأندلسي موجود، فهم أجداد وجدّات مغربيين وجزائريين وتونسيين ومصريين وسوريين وفرنسيين وإيطاليين وأتراك ومكسيكيين وأرجنتينيين وبيروفيين وأميركيين وفليبينيين وغيرها من الجنسيات[٣٧] . وعلى الرغم من كل المحاولات لمحو التأثير الأندلسي العربي والإسلامي، إلا أن تلك المحاولات تبقى غير ناجحة، لأن الدم الأندلسي لا يزال يسري في العروق منذ انتقل من الأجداد.

وهناك إشارة مهمة ذكرها الرحالة برونل عند زيارته لقشتالة في عام ١٦٥٥م إذ قال : " ... المتجول في أندلوثيا يكاد لا يرى خدماً إلا من العبيد، ومعظمهم من الأندلسيين أو المغاربة السود، وتدعو مبادى المسيحية الى عتق جميع معتنقي الدين، لكن هذه المبادئ لا تراعى في اسبانيا، نظراً إلى الحاجة الملحة للعمالة ....." ، لذلك يمكننا القول أن الأندلسيين على الرغم من تنفيذ قرار الطرد النهائي لهم، إلا أن وجودهم لم ينقطع، وإن إشارة الرحالة برونل دليل على أن لهم بقايا هناك ربما هولاء كانوا من الذين أصبحوا عبيداً على المراسيم الملكية السابقة، أو من الذين سمحت لهم السلطة بالبقاء للعمل في أراضي الكنيسة التي تسيطر على مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية . لذلك لابد أنها قدمت لهم ما يمكن أن يقنعهم بالبقاء، كما أن السلطة سمحت لـ ٧.٠٠٠ أندلسي بالبقاء في بلنسية للقيام بالأعمال الزراعية [٣٨].

ولابد من ذكر عدم وجود إحصائيات دقيقة لعدد الأندلسيين المنفيين، ولا عن جميع الأماكن التي حملوا إليها، وكان آخر أندلسي منفي خرج من مدينة وادي شقورة الواقعة إلى الشمال الشرقي من مرسية على الساحل الشرقي من الأندلس في عام ١٦١٣م [٣٩].

سادساً:- الحياة الثقافية للأندلسيين بعد انتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة

كانت الحياة الثقافية قبل انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس مزدهرة في مختلف الجوانب، ونتيجة لذلك فقد انتشرت المكتبات على مستوى الأفراد والأسر والمؤسسات العلمية، ومع ازدياد الخطر النصراني وتمكنه من السيطرة على المدن والحواضر الأندلسية كانت الكتب والمكتبات تنتقل مع انتقال الأندلسيين إلى المدن الآمنة والبعيدة عن الخطر النصراني . وفي أواخر القرن التاسع غدت مكتبة غرناطة هي المكتبة الأندلسية بكل روافدها، حتى وصل عدد الكتب فيها إلى مليوني كتاب، في مقدمتها كتب القرآن الكريم وعلومه وكتب الحديث والفقه، من ثم كتب علوم اللغة العربية والتاريخ والجغرافية وعلوم الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك والطب، فضلاًعن الكتب المدونة بغير اللغة العربية [٤٠].

إلا أن تلك المكتبة تعرضت إلى مصير مؤلم تمثل بالأوامر الملكية بإحراق الكتب في باب الرملة، وقام اسقف طليطلة ثينيروس بتنفيذ تلك المحرقة، فقد أمر الملكان الكاثوليكيان إيزابيلا وفرناندو بجمع الكتب من المكتبات العامة والخاصة وإحراقها، وقدر عدد الكتب التي أحرقت بأنها تجاوزت نصف مليون كتاب، ثم صدرت الأوامر على الأندلسيين بتسليم ما بحوزتهم من الكتب، التي جمعت بأعداد هائلة وأشعلت فيها النيران، من ثم بدأت حملات للتفتيش عن الكتب فلم تقتنع السلطة المسيحية الحاكمة بأن مسلمي الأندلس قد سلموا كل الكتب، فجمعوا من حملات التفتيش عشرات الألوف من الكتب التي أحرقت أيضا، ومع ذلك فقد وجدت السلطة المسيحية الحاكمة بعد ستين عام أن الأندلسيين لا يزالون محتفظين في أعماقهم بعقيدتهم الإسلامية، وأن تلك العقيدة موجودة في الكتب التي لا يزالون محتفظين بها، وأن تلك الكتب هي السبب الذي يجعلهم محتفظين بشخصيتهم على الرغم من كل الضغوط التي تمارس عليهم، فصدرت الأوامر في عام ١٠٨٦هـ/ ١٦٥٧م بتحريم الكتب الإسلامية، ومن وجد محتفظ بكتاب سيكون مصيره أقسى أنواع التعذيب، وقد وقع حريق في مكتبة غرناطة قضى على البقية الضئيلة الباقية من الكتب، وربما كان الحريق مفتعل من أجل التخلص نهائيا من كل ما له علاقة بالمسلمين [٤١] .

وكانت الظروف العامة التي عاش فيها الأندلسيون بعد سقوط غرناطة صعبة جداً، إلا أنهم كانوا يملكون التفوق العلمي في مختلف المجالات، ومع

أنهم لم يكونوا يملكون الحرية الفكرية للكتابة والتدوين، إلا أنه يمكن تلمس ذلك التفوق في جوانب عديدة منها:-

١- كانت لغة الألخميادو هي أحد الأساليب التي لجأ إليها الأندلسيون من أجل المحافظة على هويتهم الإسلامية أمام التعصب الديني المسيحي الذي تمثله محاكم التفتيش، ففي ذلك الأدب حفظ التراث الإسلامي، ونقل إلى الأجيال اللاحقة، فقد قام مجموعة من العلماء المسلمين الذين شعروا بخطورة ضياع التراث الإسلامي، واحتمال نسيانه بسبب حظر استعمال اللغة العربية، فضلا عن تعرضهم لأقسى أنواع التعذيب والتضييق الديني من قبل محاكم التفتيش، فكانت تعاليم الإسلام من أهم المواضيع التي دونت بالغة الالخميادو فهو أدب ديني إسلامي دون معظمه في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وكان أدب الالخميادو أحد أهم رموز تمسك الأندلسيين بدينهم، فمنه عبروا عن المحن التي كانوا يتعرضون لها والتعذيب والقتل والتشريد وسلب الحريات والحقوق على يد محاكم التفتيش[٤٢]. ومن أشهر المؤلفات الدينية كتاب سيغوبيا للمؤلف إيثه دي خيبير(Ice de Gebir) وهو كتاب عن الشعائر الإسلامية مشهور باسم كتاب سيغوبيا وكان ذائع الصيت في تلك الحقبة [٤٣] .

كما تم العثور على عدد من المصاحف الأندلسية المخطوطة التي يرجح الخبراء أنها مكتوبة بيد الأندلسيين بعد انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس[٤٤]، وتعد الكتابات المعروفة باسم كتب الرصاص آخر المؤلفات التي دونت في الأندلس بلغة عربية، والتي لا يزال يحيطها الغموض، لأنها نصوص مسيحية لاهوتية عثر عليها في عام ١٥٨٨م و١٥٩٥م، تراعي العقيدة الإسلامية وفيها كلمات وعبارات من القرآن والمصادر الإسلامية [٤٥].

ولابد من أن الإشارة إلى تأليف القواميس وكتب القواعد، إذ حاول بعض رجال الدين تعلم العربية من أجل تنصير وتثقيف الأندلسيين ومحو آثار الحضارة الإسلامية، فظهرت إلى جانب هولاء مجموعة من المترجمين الناطقين باللغة العربية والقشتالية، وكان من بينهم مسلمون تنصروا، ومن بينهم ألونسو دل كاستيو، وهو مسيحي النشأة كان والده من المسلمين الذين أجبروا على التنصر، وبفضل تمكنه من العربية والقشتالية عمل مترجماً محلفاً في ديوان الملوك الإسبان وتعاون مع محاكم التفتيش، ولكن حبه للغة العربية وثقافتها، دفعته إلى جمع الأمثال الشعبية الأندلسية في كتاب ألفه في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وجمع فيه ألف وستمائة مثل، فمن

هذا الكتاب تبدو اللغة الأندلسية المحكية في آخر العهود الأندلسية، وهي دليل على تمسك الأندلسيين بلغتهم رغم الظروف الصعبة وبسبب تحريم اللغة العربية فضل عدم نشر الكتاب [٤٦].

كانت اللغة العربية موضع اعتزاز من قبل الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، لكونها لغة القرآن الكريم، فضلاً عن كونها رمز الاعتزاز بالهوية والشخصية الإسلامية، لأن هناك ترابط بين اللغة والدين، وكان استعمالها في كتابة الأدب الالخميادو من أجل إخفاء التراث الإسلامي بحروف يصعب قراءتها على غير المسلمين، ويبدو أن السلطات تنبهت إلى ذلك، فأصبح استعمال اللغة العربية سبباً لتوجيه التهم لهم، واستحقاقهم أقسى أنواع التعذيب [٤٧].

ومن الدلائل على تمسك الأندلسيين باللغة العربية هو العدد الكبير من الكلمات والمصطلحات العربية في أدبهم، على الرغم من معرفتهم بالكلمات الاسبانية، وهم كانوا يعتقدون أن مدلول الكلمة باللغة العربية هو تأكيد على مضمونها الإسلامي، وأن المقابل لتلك المفردات بالأسباني لا يفي معناه الحقيقي باللغة العربية، فضلاً عن أن أستعمال ما يقابلها بالاسباني هو أفراغ لمفهومها الإسلامي، وإن تصفح أي مخطوط من المخطوطات في الأدب الألخميادو نجد أصرار على استعمال المفردات العربية مثل الصلاة، والزكاة، والحج، والأذان، والركوع، والوضوء، والقبلة، والجهاد، والجنة، والنار وغيرها [٤٨].

وخير دليل على ذلك مسلمي أرغون الذين فقدوا لغتهم للتواصل والمخاطبة فيما بينهم ولاسيما في القرون الأخيرة من بقائهم في اسبانيا، حتى إنهم اضطروا من أجل المحافظة على شعائرهم الإسلامية وتقاليدهم وعاداتهم إلى ترجمة القرآن الكريم والحديث النبوي والكتب الفقهية إلى اللغة القشتالية، ولكنهم كتبوها بحروف عربية، بلغة الألخميادو، مع احتفاظهم سراً بكتب عربية، ومن المؤلفات التي عثر عليها مخطوطة من القرن الخامس عشر الميلادي "حديث ذي القرنين" مكتوبة بلغة تجمع بين العربية الفصحى وعامية أهل الأندلس [٤٩].

ومن المهم الإشارة إلى أن المؤلفات الكثيرة التي وضعها الأندلسيون خلال تلك الحقبة، لم يبق منها إلا الشيء القليل، بسبب الحرق من قبل محاكم التفتيش التي كانت تجرم كل ما هو عربي، لاسيما ما هو ذو طابع ديني [٥٠].

٢- الآثار التي تركوها في البلاد التي هاجروا إليها : يمكن تلمس المؤهلات العلمية للأندلسين من إنجازاتهم في البلدان التي وصلوا إليها، فقد استقبلهم الوالي العثماني الداي في تونس، ومنحهم الأراضي والدور، وعمل على الإفادة من خبرتهم المهنية، وإجادتهم اللغة القشتالية، والأساليب الحربية البحرية، وبنوا أكثر من عشرين مدينة لا تزال معالمها الأندلسية واضحة [٥١]، وزرعوا الكروم والزيتون والبساتين وعبدوا الطرقات [٥٢].

وفي تونس أعتنت الجالية الأندلسية بجلب الماء إلى القرى التي سكنوا فيها على سبيل المثال قرية غار الملح التي تقع على بعد ٣٧ كم شمال العاصمة التونسية، فهذه القرية تتزود بالماء من قناة تسير تحت الارض وتخترق وادي فوق قنطرة مبنية بالحجارة بنيت في عام ١٦٤٠م لتزود الميناء وسفن الجهاد البحري بالماء الكافي، ويبدو أن لوجود الجالية اندليسة ووجود المعلم موسى الغرناطي الذي يملك خبرة هندسية دور فعال في بناء ميناء الجزائر وبناء تلك القناة [٥٣] .

٣- الشعر : لقد وصلت إلينا بعض الأشعار التي كان الأندلسيين يرددونها في تلك الحقبة، منها ما نظم في رثاء الأندلس [٥٤]، ومنها ما عبر عن الحزن والألم الذي يعتصر قلوبهم من المعاناة القاسية التي يعيشونها في حياتهم اليومية، فكانت أشعار تلك الحقبة مصدر للمعلومة التاريخية، ومنها على سبيل المثال أبيات بالقشتالية حزينة لا يعرف مؤلفها، نظمت قبيل تنفيذ قرار الطرد النهائي في عهد فيليب الثالث .

يقولون أن علينا الرحيل
تباعا إلى أرضنا الطيبة
هناك الجبال وراء الجبال
من التبر والفضة الخالصة
لقد ذل من يبتغي طردنا
لنذهب معا أخوتي
لنذهب معا كلنا
إلى الخير والوفر يا أخوتي
إلى أمة من العرب مثلنا [٥٥].

تميز الشعر الأندلسي في تلك الحقبة بأنه من الشعر الشعبي، وموضوعه الأبرز النقد والاستهزاء بالديانة المسيحية، وهذا النوع من الشعر ازدهر في البلدان التي هاجر إليها الأندلسيون، ومن شعراء تلك الحقبة

الشاعر خوان ألونسو أرقوناس في القرن السابع عشر الميلادي[٥٦]، وكذلك محمد ربدان من أرغون والذي هاجر إلى تونس في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، فقد ذكر في كتابه أسماء الله الحسنى باللغة العربية واللغة الألخميادية بشكل أبيات شعرية قصيرة [٥٧].

٤- الترجمة : أجاد الأندلسيون الترجمة وذلك لمعرفتهم باللغة القشتالية وغيرها من اللغات الأوروبية، فكان لهم دور كبير في المعاهدات والمراسلات وترجمة الكتب العلمية ومنهم عميد الترجمة أحمد بن قاسم الحجري [٥٨].

٥- الطب والصيدلة : كان الأطباء الأندلسين ماهرين في علاج المرضى، وبرعوا في العلاج، وصناعة الادوية، وفي التعليم، فقربهم الحكام وأغدقوا عليهم المكافأة والعطاء، ومن أولئك أبو القاسم الوزير بن محمد الغساني الذي كانت له مؤلفات كثيرة في الطب والصيدلة، وعلي بن إبراهيم الأندلسي، وعبد الواحد بن محمد غريط الأندلسي [٥٩]. وفي جنيف وصل من مدينة تولوز الفرنسية الأندلسي أبو زيد المعروف باسم السنيور أبو زيد، وهو من عائلة مشهورة بالطب، وكان من المعاصرين لفولتير وروسو ونيوتن، وكان فولتير يسميه صديقنا العربي [٦٠].

٦- الرياضيات والفلك والهندسة : كان الأندلسيون بارعون في تلك العلوم، ومنهم أحمد بن معيوف الأندلسي، ومحمد بن أحمد الأندلسي الصحري، ومحمد بن عبد العزيز الأندلسي وغيرهم، وكان لهم مؤلفات مهمة في هذا المجال من العلوم [٦١].

٧- الموسيقى : كانت الموسيقى الأندلسية مؤثرة في الأنغام المغربية، التي تأثرت بمدرسة اشبيلية الموسيقية منذ عهد المرابطين وإلى عهد المرينيين، من ثم جاءت مدرسة غرناطة الموسيقية التي استمر تأثيرها حتى بسط الحماية في المغرب . وتبدو التأثيرات الأندلسية واضحة ولاسيما عند الاحتفال بالمولد النبوي [٦٢]، وفي دخول أنماط موسيقية جديدة وتطوير بعض الأنماط الموسيقية التقليدية [٦٣].

٨- الفنون الحربية : كانت المراكز الجهادية البحرية منتشرة على سواحل المغرب، وكان للأندلسيين دور بارز فيها للانتقام من الاسبان الذين اضطهدوهم ونفوهم، ومنهم إبراهيم بن غانم الرباش الغرناطي، الذي كان يملك معرفة عالية في استخدام المدافع، وهو مؤلف كتاب "العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع" وهو من أهم الكتب في مجاله[٦٤].

٩- العمارة : حمل الأندلسيون معهم فنون العمارة الأندلسية، فشيدوا القصور والدور بالطرز الأندلسية، فقد كانوا بارعين في النحت والنقش والتنميق والزخرفة بالذهب والأصباغ، وصناعة الزليج الذي تزين به الحيطان، وصناعة الجبس لعمل الحنايا[٦٥]. فعمروا الارض وبنوا القلاع والجسور والمدن، فمدينة تطوان عمرها أبو الحسن المنظري الأندلسي (ت ١٥٠٤م) وكان يهاجم السفن والمدن الاسبانية [٦٦].

١٠- الزراعة : في مجال الزراعة أدخلوا الى بلاد المنفى مهاراتهم الزراعية والإروائية، وحملوا معهم منتوجات من العالم الجديد مثل الطماطة (البندورة)، والبطاطا، وأنواع الفلفل الأخضر والأحمر، وأنواع من التوابل، فضلاً عن زراعتهم المنتوجات الزراعية الأخرى .

١١- الصناعة والتجارة : كان على الأندلسيين المنفيين التعامل في بلدان نفيهم مع مشاكل الحياة الجديدة في النواحي المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي مع الوقت تمكنوا من التغلب عليها، والمشاركة في بناء المجتمع، من مهاراتهم وعلومهم وحضارتهم، فعلى سبيل المثال صناعة دباغة الجلود وتكرير القصب وصناعة الخزف والأسلحة والسفن والبلاط المُزجّج الملون وغيرها من الصناعات، التي كان لكل منها نقيب وسوق خاص بها[٦٧].

كذلك برعوا في التجارة والصناعات التقليدية مثل صناعة الشاشية (الطرابيش الصغيرة)، ففي تونس أصبح لهم سوق خاص قرب جامع الزيتونة، حتى غدت تونس في القرنيين السابع عشر والثامن عشر الميلادي من أهم مصادر إنتاج الشاشية في الدولة العثمانية [٦٨].

يمكننا القول إن التفوق الثقافي للأندلسيين واضح من آثارهم في البلاد التي هاجروا إليها، إذ شيدوا الحضارة الأندلسية من جديد، فأبدعوا في الانتاج الشعري والادبي المميز، وأحيوا الموسيقى الأندلسية بالزجل الشعري، وأقاموا هندسة عمرانية وصناعة، وزرعوا النباتات التي نقلوها معهم، وكانوا بحارة كان لهم وجود مهم بسفنهم ومراكبهم في المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، فضلاً عن دور المرأة الأندلسية في إحياء الحياكة [٦٩].

ولابد من أن نذكر أن معاهدة تسليم غرناطة أنهت الوجود السياسي للأندلسيين، كما حاولت القضاء على الوجود الحضاري، من خلال القضاء على ذلك الإرث الضخم الذي لم يبق منه غير بضعة الآف مخطوطة في الاسكوريال، وبعض المدن الإسبانية الأخرى، وفي مكتبات دول العالم

والمتاحف، هي كل ماتبقى من المؤلفات التي أحرقها الإسبان . وفي مجال العمارة يوجد قصر الحمراء وحي البيازين، والمسجد الكبير في قرطبة، وبقايا مدينة الزهراء، والمئذنة والقصر في اشبيلية، وآثار أخرى متناثرة في بقية المدن، وهي في الحقيقة جزء قليل جداً من الإرث الحضاري الضخم، الذي تعرض إلى الدمار المتعمد، فالمساجد حولت إلى كنائس، وأدخلت فيها إضافات شوهت المباني وجعلتها قبيحة، وفي العمارة العسكرية الإسلامية بقى نحو أربعمائة قلعة تصور تطور العمارة والفن، فضلاً عن الحصون والحمامات . أن التأثير الاندلسي يبدو واضحاً في ما يعرف اليوم بإقليمي أندلوثيا وبلنسية، حيث الأزقة لا يزال بعضها محتفظ بالاسم الأندلسي، أن الحقيقة الساطعة عن التأثيرات التي لا تعد ولا تحصى ممكن أن نجدها تحت الغطاء القشتالي الذي حاول جاهداً طمس كل معالمه في الأدب والفنون والأساطير والقصص ولوحات الرسامين، وهم عاجزين عن مسح تاريخهم الذي هو تاريخ الأندلسيين [٧٠].

<u>سابعاً: الحياة السياسية للأندلسيين بعد إنتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة</u>

إن الحديث عن الحياة السياسية للأندلسيين بعد سقوط غرناطة في عام ١٤٩٢ م يبدأ من معاهدة التسليم التي أبرمت بين الملكين الكاثوليكيين اللذان يمثلان الجانب المنتصر، مع حاكم غرناطة الذي يمثل الجانب الضعيف المنكسر، تلك المعاهدة التي نصت على احترام حقوق الأندلسيين كافة ، إلا أن تلك المعاهدة لم يكتب لها النجاح لعدة أسباب، ربما في مقدمتها أن العالم الإسلامي كان يعيش حالة التمزق والتناحر، كما أنها عقدت مع طرف ضعيف ومهزوم عسكرياً ومعنوياً، لذلك كان من السهل على السلطة المسيحية الحاكمة أن لا تلتزم ببنود معاهدة التسليم، وأخذت تفرض على الأندلسيين الضعفاء شروطها التي فيها انتهاك لكل حقوقهم التي نصت عليها معاهدة التسليم[٧١].

ولابد من أن يترك الاضطهاد الديني والاجتماعي والاقتصادي والفكري آثاره في الحياة السياسية، لأن جميع مفاصل حياة الأندلسيين كانت تحت المراقبة والشك، فكان نتيجة طبيعية أن يولد ذلك احتقان الحياة السياسية التي كانت منذ معاهدة تسليم غرناطة تحت تأثير سلطة رجال الدين المنقسمين حول السياسة التي يجب اتباعها مع الأندلسيين، لذلك قام الأندلسيون بعدد من الانتفاضات والثورات التي عبروا فيها عن مطالبهم المشروعة، وهي :

أولاً : الثورة الأندلسية الأولى (١٤٩٩-١٥٠١م)

١- انتفاضة حي البيازين

كان القسيس خيمينس يؤمن بتطبيق سياسة القوة بشكل سريع ومنظم وإجبار جميع الأندلسيين، وبدأ بتنفيذ سياسته منذ عام ١٤٩٩م، ولجأ من أجل تنفيذ سياسته إلى اتباع أسلوب الأستفزازات والمضايقات للأندلسيين المسلمين، ولاسيما الفقهاء، وكانت قصده من وراء ذلك هو أن تصدر من الأندلسيين المسلمين ردة فعل لتكون ذريعة لتنفيذ مخططه [٧٢].

أما عن الأسباب التي كانت وراء انتفاضة البيازين فهي إجراءات خيمينس الذي سعى إلى إثارة الغرناطيين بعد أن فشلت كل جهوده السابقة لتنصيرهم، فانتقل إلى قصر الحمراء ليحتمي بأسواره، ليبتدأ بالإجراءات العملية لتنفيذ سياسة القوة والإجبار، فكانت البداية بالقاء القبض والسجن للمسلمين المتشددين والمعترضين على أسلوب خيمينس، وبينهم امرأة، فثار أهل غرناطة، وحملوا السلاح وخلصوها بالقوة، كما إنه عمل على نشر الجواسيس والتنصت على السكان، خارقاً بذلك بنود معاهدة التسليم، فأكتشف الغرناطيون ثلاثة منهم، وبعد مشادة كلامية، قتلوا إثنان منهم وهرب الثالث[٧٣]، ووصل الأخير إلى خيمنيس وأخبره بالأحداث في حي البيازين، فأسرع باستدعاء الكونت تندله وأمره بإغلاق أبواب الحمراء، وفي تلك الأثناء تأججت الأوضاع في غرناطة وطاف الزعماء يحرضون الناس على حمل السلاح وقتل خيمينس، واتجهوا نحو الحمراء وحاصروها، ولما وصل الكونت تندلة وتحاور مع أهل غرناطة طالباً منهم الهدوء وأعطاهم الوعود بدراسة مطالبهم، وحذرهم من قتل خيمينس، فأعطى الغرناطيين الثقة للكونت تندله ورجعوا إلى حي البيازين منتظرين ما يفعله، بعد ذلك حدث اجتماع بين الغرناطيين وتندله وطلبيرة وكانت مطالب الغرناطيين أن تستدعي الملكة إيزابيلا خيمينس وأن تتوقف محاولات التنصير، بعد ذلك سافر الكونت تندله إلى الملكة إيزابيلا في إشبيلية[٧٤]، ونقل إليها تطور الأحداث السياسية في غرناطة بسبب سياسة خيمينس، فأستدعت الملكة إيزابيلا خيمينس الذي شرح للملكة أن انتفاضة الغرناطيين بسبب نجاحه في تنصير البعض منهم، وأنه لن يعتذر عن الاجراءات التي اتبعها مع الغرناطيين، لأن الملكة إيزابيلا تحمل لقب الملكة الكاثوليكية، ويجب أن لا ترضى بوجود رعايا في مملكتها الكاثوليكية على دين آخر، كما أنه أقنعها أن اتباع سياسة اللين مع الغرناطيين بعد تمردهم سوف يؤدي إلى تشجيعهم على القيام بتمرادت أكبر وأخطر،

وافقت الملكة على الإجراءات التي قام بها خيمينس وجددت له الثقة، وقررت التنصير الإجباري للغرناطيين أو يرحلوا إلى المغرب، ولم يتمكن الكونت تندله من فعل شى خشية اتهامه بالتعاطف مع الأندلسيين، أما الأندلسيون فالبعض لم يكن يملك إلا القبول بقرار إيزابيلا، والبعض الآخر ترك غرناطة إلى المدن والقرى الأندلسية في الجبال، بينما قررت جماعة ثالثة إتخاذ المقاومة المسلحة السبيل للتخلص من القشتاليين[٧٥].

كان من نتائج قيام الأندلسيين بانتفاضة حي البيازين أن قام خيمينس بإصدار الأوامر باستعمال القسوة لإنهائها، وأباح للجيش والرعاع رقاب وأموال السكان، فالمصادر تذكر أن أكثر من ثلاثمائة إمرأة تعرضت إلى الاعتداء، وكذلك عدد كبير من الأطفال، فضلاً عن مصادرة الكتب والمخطوطات وإحراقها [٧٦].

٢- الثورة الأندلسية الأولى

لم تنجح الملكة إيزابيلا في اتخاذ السياسة المناسبة للتعامل مع الغرناطيين بعد انتفاضتهم، واختار جماعة منهم المقاومة المسلحة، وأخذوا بالاستعداد لإعلان الثورة، فكان الإعلان في تشرين الثاني في عام ١٤٩٩م في جبل البشرات، فأمرت الملكة إيزابيلا الكونت تندله وغونثالو القرطبي بتولي القضاء عليها، فتحرك القرطبي بجنوده إلى البشرات واقترب من أسوار مدينة وجار فسقط بعض فرسانه في حفرة وعمت الفوضى بين الجنود فخرج الثوار من المدينة وقتلوا عدداً كبيراً منهم، وعلى الرغم من انتصارهم، إلا أن المدينة استسلمت ودخلها جيش القرطبي فقتل الرجال وسبى النساء وشرد الأطفال، وعمل الثوار على إعاقة تقدم جيش القرطبي وتندله في مدن البشرات في نصب الكمائن، وبعد شهرين قررا طلب المساعدة من فرناندو للقضاء على الثوار، فجاء فرناندو من إشبيلية وتولى القيادة الميدانية في آذار في عام ١٥٠٠م وقاد جيشاً كبيراً، واحتل عدد من القرى وحاصر مدينة أندرش وتمكن من اخضاعها والسيطرة على البشرات، فاضطر الأندلسيون إلى الإستسلام، وقدموا لفرناندو ٥٠.٠٠٠ دوقة ذهبية مع تسليم الحصون والمنابر والأسلحة، ولضمان سيطرة فرناندو على البشرات أقام الجنود في بعض مناطق البشرات وكذلك الرهبان لتنصير سكانها[٧٧].

وكان من أهم نتائج الثورة الأندلسية الأولى على أرض الواقع، إعلان إيزابيلا أن الغرناطيين خرقوا معاهدة التسليم بتمردهم، والتنفيذ العملي لسياسة القوة والإجبار في تنصير المسلمين وهدم المساجد وتحويلها إلى

كنائس، وهكذا قادت روح التعصب والتوتر إلى الإصطدام المسلح، وكان من شدة الإصطدام أن قاد الملك فرنادو المعارك بنفسه من أجل إخمادها، وتمكن من ذلك بعد إرتكابه أعمال وحشية، ثم اندلعت ثورة أخرى في الجبل الأحمر بعد مقتل أحد القادة العسكريين القشتاليين وهو ألونثو دي أغيلار، وقاد الملك فرنادو المعارك بنفسه من أجل إخمادها، وتمكن من ذلك بصعوبة حتى أنه قبل بالصلح وأعطى الأمان لمن أراد الرحيل إلى المغرب.

٣- ثورة الجبل الاحمر

لم يستسلم سكان غرناطة لقرارات إيزابيلا فأعلنوا الثورة في منطقة الجبل الأحمر، وتولى ألونثو دي أغيلار (بلاي) وبرفقته إبنه الدون بدرو القرطبي، وتمكن الثوار من الانتصار على الجيش بنصب الكمائن ومنها الصخور التي إنهالت على الجيش، وأكمل الثوار على البقية الباقية من الجيش بالسيف وهرب من تمكن من الهرب، وكان القائد ألونثو من القتلى، وأصيب إبنه بجرح وتمكن الجنود من إنقاذه، وكان من بين القتلى أبرع مهندس في استخدام المدافع في جيش فرناندو فرانسيسكو راميرز، وربما يكون السبب الذي سهل على الثوار تحقيق هذا النصر، هو غرور ألونثو والاستخفاف بثوار الجبل الأحمر، وعدم المعرفة الكافية بالممرات الجبلية الوعرة، وبعد تلك الخسارة والفشل في القضاء على ثورة الجبل الاحمر، قاد فرناندو الجيش وجعل مدينة رندة مقر للعمليات العسكرية، فكانت مقاومة ثوار الجبل الاحمر قوية اضطرت فرناندو إلى الأنسحاب، وأخذ بالاستعداد لهجوم كبير لم يتمكن الأندلسيون من الصمود أمامه، فصعدوا إلى قمم الجبال العالية، فحاصر جيش فرناندو الثوار حتى نال منهم الجوع فعرضوا الاستسلام ووافق فرناندو على أن يرحلوا إلى المغرب، وبذلك انتهت ثورة الجبل الأحمر بعد سنتين من إعلانها [٧٨].

من أهم النتائج للثورة الاندلسية الأولى، إصدار المرسوم الملكي في ١٢ شباط من عام ١٥٠٢ م، الذي أجبر الأندلسيين بين أمرين هما التنصير أو الرحيل من كل أنحاء قشتالة ممن لم يتعمدوا بعد، فلا يبقى ذكر عمره فوق الرابعة عشرة وأنثى تجاوز عمرها الثانية عشرة بعد شهر نيسان، وسمح للأندلسيين ببيع أملاكهم، ومنعهم من أخذ الذهب والفضة والمجوهرات، وقد فشلت جميع محاولات الأندلسيين إلغاء أو تأجيل تنفيذ المرسوم الملكي، فرحل نحو ٣٠٠.٠٠٠ أندلسي إلى المغرب والجزائر وتونس ومصر والشام والقسطنطينية، وقيل ٣٥٠.٠٠٠ أندلسي [٧٩].

قد وصف المقري أوضاع الأندلسيين العامة وصفاً دقيقاً، يعكس صورة عن حياتهم ومعاناتهم مع القشتاليين الذين فرضوا عليهم الضرائب الثقيلة وأمروهم بالخروج من غرناطة، وأجبروهم على التنصير بالإكراه [٨٠] .

على الرغم من القسوة والقوة والأكراه لم ينجح القشتاليين في تنصير الأندلسيين بشكل عملي وبالكامل، فما حدث على أرض الواقع حين ذاك هو أن الأندلسيين بعد انتهاء المهلة، أصبحوا من وجهة نظر القشتاليين مُنصرين فالاوامر الملكية أعطت انطباعاً أن الملكة الكاثوليكية تمكنت من إنهاء الوجود الإسلامي في غرناطة، وإزالة معالمه، والاندلس أصبحت مسيحية بالكامل، إلا إنها في حقيقة الأمر لم تستطيع تنفيذ المرسوم الملكي بصرامة وجدية وتشدد، لعدة أسباب أهمها أنه لا يمكن خلال مهلة الثلاثة أشهر إيصال المرسوم الملكي إلى جميع الأندلسيين، ولاسيما الذين يسكنون في أماكن نائية، وكان نقل الأندلسيين إلى العدوة حكرا على سفن الملك فرناندو مقابل عشر دوبلات ذهبية ، فمن لم يكن يملك ذلك المبلغ اضطر للبقاء، كما أن السلطة وضعت عراقيل لمنع سفر الأندلسيين العاملين في أراضي النبلاء، ومنحتهم الوعود بأنهم إذا مارسوا شعائرهم الإسلامية سرا لن ينالهم العقاب، لأن الفراغ الذي تركه رحيل نحو ٣٠٠.٠٠٠ ، أو ٣٥٠.٠٠٠ أندلسي على الحياة الاقتصادية كبير جداً، لاسيما أن قشتالة تعاني من قلة اليد العاملة، قد سبب الخسارة للنبلاء الذين اشتروا الأراضي الزراعية، واعتمدوا الغرناطيين في إدارتها، لذلك تجنبت التشديد على الغرناطيين لإرضاء النبلاء ولضمان استمرارهم في إدامة المزارع، حتى أن الملكة إيزابيلا كانت أول من أعترض على أن يكون لمحاكم التفتيش فرع في غرناطة، ولهذا السبب الاقتصادي بقيت محاكم التفتيش بعيدة عن غرناطة أربع وعشرين عاما بعد صدور الأوامر الملكية بالتنصير للأندلسيين، ويمكن القول إن عدد الذين تنصروا إسميا بلغ ٣٠ الف أندلسي ، ولا يعرف عدد الذين تنصروا قبل ذك على يد طلبيرة وخيمينس، ولكن لابد من أنهم أعداد قليلة، لم تكن بالمستوى الذي يرضي طموح القشتاليين بتنصير الأندلسيين سواء بالاقناع أو بالإكراه، وخير دليل يمكن أن يذكر قيام الثورة الأندلسية الكبرى [٨١] .

ثانياً: الثورة الأندلسية الكبرى

لقد أدى التصعيد في ممارسة الاضطهاد الديني والإستغلال الاقتصادي والحرمان الاجتماعي من ممارسة أبسط مظاهره، والانتهاك للحرية الفكرية للأندلسيين، الى حد دفعت بتطور الأحداث السياسية الى أعلان الثورة

الأندلسية الكبرى في عهد فيليب الثاني، فكانت الظروف العامة مهيئة للإنفجار فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير عندما نشب شجار بين جباة الضرائب والأندلسيين، وقام بعض الفلاحين بقتل الجنود المستضافين في مساكنهم، وجمع صباغ من غرناطة يدعى فراس بن فراس مجموعة من الغرناطيين وفر إلى الجبال والتحق بزعيم الثورة ابن أمية فكانت البداية في ١٥ نيسان من عام ١٥٦٨م حيث بدأت حالة من الإضطرابات في جبل البشرات تمكن الحاكم العسكري المركيز مندخار من القضاء عليها، إلا أن الشباب الغرناطي استمر بالالتحاق بجبال البشرات والتدريب على السلاح سراً.

وفي ٢٣ كانون الأول بدأ الثوار بقيادة فراس بن فراس تحركاتهم بالقيام بالهجوم على غرناطة في الوقت الذي كانت حامية المدينة مشغولة بالاستعداد للاحتفال بعيد الميلاد، وتمكنوا من الدخول إلى المدينة والإشتباك مع جنود الحاكم العسكري المركيز مندخار، وتمكنوا من إيقاع الخسائر بالحامية، ولكن لم يتمنكوا من السيطرة على المدينة، فانسحبوا إلى البشرات، فأصدر فيليب الثاني أوامره إلى الحاكم العسكري المركيز مندخار بالقضاء على ثورة البشرات، فقاد جيشاً من أربعة آلاف جندي، ولكنه لم يشتبك مع الثوار، ودخل معهم في مفاوضات وقدم تعهدات بمحاولته إقناع فيليب الثاني برفع الضغوطات عن الأندلسيين، فتوقفت العمليات العسكرية، إلا أن المركيز مندخار فشل في إقناع فيليب الثاني بذلك، وفقد المركيز مندخار السيطرة على جنوده الذين مارسوا القتل ضد الأندلسيين من دون حساب، فقاموا بقتل أعداد كبيرة من الأندلسيين في منطقة جبيل، وكذلك هاجموا مدينة لورة، ووصلت الأخبار إلى غرناطة بأن الثوار بسطوا سيطرتهم على البشرات وقتلوا ٩٠ قسيساً و١٥٠٠ قشتالي، فهاجم الجنود القشتاليين في غرناطة سجن البيازين، وقتلوا ١١٠ أندلسي كانوا فيه، ومع زيادة الإنفلات الأمني وفقدان السيطرة على الجنود وانتشار الثورة في مناطق جديدة في الجنوب، أقر الحاكم العسكري مندخار بالعجز عن تمكنه من السيطرة على الوضع العام، عندئذ عين دون خوان النمسوي رئيساً للمجلس الحربي[٨٢]، وعرض على المجلس الحربي عزمه على التحرك العسكري السريع للقضاء على الثورة قبل وصولها إلى أرغون ، وكان فيليب قد اشترط عليه أن يقسم الجيش على قسمين، الأول بقيادة المركيز مندخار، والثاني بقيادة مركيز بلش مالقة، ومنعه من الاشتراك في العمليات العسكرية بنفسه [٨٣].

ما أن تسلم المركيز بلش مالقة مهمات عمله بالمنطقة الشرقية حتى بدأ بالتوغل السريع في البشرات والسيطرة على ممر رباحة الإستراتيجي لقطع طريق الإمدادات عن الثوار، إلا أن الثوار أجبروه على الإنسحاب إلى بلدة برجة، وتمكن الثوار من محاصرة تلك البلدة، إلا أن جنوده تمكنوا من صدهم والإنتصار عليهم، ثم انسحب المركيز بلش مالقة إلى مدينة عدرة ، وأتسعت الثورة حتى شملت كل الجنوب، فأضطر دون خوان إلى طلب الإمدادات من الملك فيليب الثاني الذي أمر القائد الأعلى ريكويسنس بالتوجه إلى الجنوب للقضاء على الثورة، وتمكن ريكو من إرغام الثوار على التراجع والهجوم على أحد معاقل الثوار مدينة فرجالة، وفرض عليها الحصار،من ثم تمكن من إقتحام المدينة [٨٤].

ورد الثوار على اقتحام مدينة فرجالة في منتصف عام ١٥٦٩م بالهجوم على مدينة سيرون، حيث هجم خمسة آلاف من الثوار وضربوا الحصار عليها في ١٨ حزيران عام ١٥٦٩م، وتمكنوا منها بعد استسلامها[٨٥].

وأمام التقدم الذي أحرزه الثوار سعى دون خوان إلى الحصول على موافقة فيليب الثاني على إسناد قيادة الجيش له، وتمكن من تحقيق ذلك بمساعدة ريكويسنس، فاقترح على الملك فيليب الثاني خطة شاملة للقضاء على الثورة وطلب منه التعزيز بقوات إضافية، وما أن وصلت القوات حتى قاد جيشه لمحاصرة مدينة غاليرا في ١٩ كانون الثاني ١٥٧٠م وكانت تلك المدينة مقر يهاجم الثوار منه خطوط التموين مع الشمال، فحاصر المدينة نحو شهر وجرت مفاوضات لتسليم المدينة لقاء الوعد بالأمان على الأرواح والممتلكات، إلا أنه ما أن دخل المدينة حتى أمر بقتل السكان البالغ عددهم حوالي ثلاثة آلاف والاعتداء على النساء، وفي بداية شهر شباط عام ١٥٧٠م قاد دون خوان هجوماً على مدينة سيرون، وكان الهجوم قوياً جداً على المدينة وأرسلوا الدخان إشارة إلى طلب النجدة، فدخل قسم من المشاة الجزء الخالي من المدينة وقاموا بأعمال النهب.

بعد تلك المعارك مع الثوار، أرسل دون خوان يطلب قوات إضافية من فيليب الثاني الذي وعد بإرسال ألفي جندي مع الطلب من دون خوان بالقضاء على الثورة بأقصى سرعة وفتح باب المفاوضات [٨٦].

فطلب دون خوان المفاوضات مع القائد الحبقي، فبدأت في ١٣ أيار في قرية اندرش بحضور الحبقي وعدد من القادة الأندلسيين، فطلب الأندلسيون إصدار العفو العام وإلغاء مرسوم الأول من كانون الثاني عام ١٥٦٧م وطلب

دون خوان من الوفد الأندلسي تقديم ما يثبت موافقة ابن أمية على الشروط، وفي ١٩ أيار عاد الوفد إلى معسكر دون خوان بموافقة ابن أمية، فصادق الحبقي على الاتفاق، إلا أن المفاوضات فشلت بعد أن شك ابن أمية بولاء الحبقي، ورفض الموافقة على الاستمرار بالمفاوضات، فأخذ دون خوان عندها بتنظيم جنوده وانتظار القوات الإضافية التي وعد فيليب الثاني بإرسالها لشن الحملة النهائية على الأندلسيين.

قسم دون خوان جيشه إلى أربعة أقسام، وتحركت الجيوش الأربعة في أيلول عام ١٥٧٠ م وشعارها " لا رحمة ولا هوادة "، قاوم الثوار تلك الجيوش في جميع المحاور، لكنهم تراجعوا وفروا إلى الجبال، وأحرق الجنود المزارع والمحاصيل فقل الغذاء، فضلاً عن انقطاع الاتصالات وفقدان التنسيق بين الثوار، فتمكن دون خوان من إخضاع المناطق وملاحقة من هرب إلى الكهوف والمغارات، فأخذ جنود دون خوان بحرق الأغصان في مداخلها، فمن بقى مات بالاختناق ومن خرج قتله الجنود القشتاليين[٨٧].

وكانت أخطر مرحلة في الثورة الأندلسية الكبرى عندما نشب الخلاف بين الثوار، وعد بعضهم موقف ابن أمية هو السبب في هزيمتهم، فقتلوه، وتسلم القيادة بعده القائد عبد الله بن أبيه الذي لم ينجح في إعادة تنظيم صفوف الثوار فهرب مع جماعته، وفي اذار عام ١٥٧١م خرج المنادون الى سكان غرناطة بالتهنئة بقتل عبد الله بن أمية وقطعوا رأسه الذي بقى معلقاً على باب البشرات في مدينة غرناطة وشوه وحرق القشتالين جثمانه، وفي ١٩ تشرين الأول أعطى فيليب الثاني الشرعية للانتقام في الجنوب بمرسوم ملكي، فأباح للجنود السبي والنهب، ورفع رواتبهم، وتسابق الجنود في قتل كل أندلسي عثروا عليه، وكان الأجر لكل رأس أو قضيب ٢٠ دوقة [٨٨] .

وتمكن القائد الأعلى ريكويسنس من القضاء على آخر مظاهر الثورة في ٥ من تشرين الثاني في عام ١٥٧٠م، إذ نظم حملات منظمة للقتل الجماعي والتدمير الشامل، وإحراق القرى وخنق الثوار بالدخان في الكهوف التي هربوا إليها، فكان مصير الأندلسيين بعد الأسر المثول أمام المحكمة وإصدار الأحكام الفورية ضدهم بالخدمة أو السجن أو الإعدام أو بالتعذيب حتى الموت بتقطيع اجسادهم بكماشات من حديد تحمى حتى يصبح لونها أحمر، وبقيت جماعات من الثوار في الجبال لم تتمكن القوات القشتالية من الوصول إليهم كانت تشن هجمات متفرقة على مراكز القوات القشتالية حتى نهاية شهر ايار من عام ١٥٧١م، وعرضت السلطات على بقايا الثوار

الاستسلام مقابل الأمان فقبل الكثير منهم الاستسلام . ومع منتصف عام ١٥٧١م انتهت آخر الثورات التي استشهد فيها نحو ٢٠.٠٠٠ ألف اندلسي وأندلسية، ومن جرح كان ثلاثة أضعاف هذا الرقم، وعشرات الآلاف أعدموا أو استعبدوا أو عملوا قسرا في السفن [٨٩]، وكان معظم الاندلسيين مع نهاية الثورة مغربين أو سجناء أو عبيد أو أسرى .

وبذلك انتهت الثورة الأندلسية الكبرى التي تعرف باسم ثورة البشرات (Al pujarras) الكبرى التي قادها محمد بن أمية الملقب بالكنيسة ألونسو دي جاوه (Alonso de Jaua)، وكانت أكثر الثورات قوة وتنظيماً، إذ تطلب القضاء عليها تجهيز جيش كبير تولى قيادته أبرز القادة العسكريين القشتاليين [٩٠] .

نتائج الثورة الاندلسية الكبرى

في ليل الأربعاء ٢٢ حزيران ١٥٦٩ من عام دخلت القوات القشتالية مدينة غرناطة ليلاً، واغلقت أبواب المدينة وحاصرت الأحياء الأندلسي ، وفي صباح يوم الخميس خرج المنادون إلى البيازين يأمرون الأندلسيين من الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والستين بالتوجه إلى اقرب كنيسة والعقاب الشديد لمن يتأخر عن التنفيذ، من دون توضيح الأسباب، فشكل أهل غرناطة وفداً من أعيانهم توجه للقاء الحاكم العسكري، واكدوا الولاء لفيليب الثاني والتزامهم الحياد، وطمأن الحاكم العسكري دون خوان الأندلسيين ان السبب هو إجراء إحصاء للرجال، ولكن ما أن دخل الاندلسيون إلى الكنائس حتى أغلقت الأبواب مع الحراسات المشددة، ومع فجر يوم الجمعة أمرت القوات القشتالية الأندلسيين بالخروج والاصطفاف بشكل أرتال وأمرتهم بالتحرك تحت الحراسة إلى المستشفى الملكي، وأثناء ذلك ضرب أحد الجنود شاب أندلسي فرد الأندلسي الضربة للجندي، فاجتمع الجنود وقطعوه بسيوفهم، وأوثقوهم كلهم بعد ذلك، واختار دون خوان من بينهم ألفين من العلماء والحرفيين والعمال في فنون الصناعة والزراعة والبناء [٩١]، وقسم الباقين على جماعات حددت لكل جماعة جهة من قشتالة، عندئذ عرف الأندلسيون أن الغرض من جمعهم هو تنفيذ المرسوم الملكي بنفي الأندلسيين عن غرناطة، وبلغ عدد المنفيين ٣٥.٠٠ أندلسي، وبعد الانتهاء من ترحيلهم، بدأت الخطوة التالية وهي انتزاع الأطفال من الأمهات وتوزيعهم على بيوت القشتاليين بإشراف الكنيسة لإنشائهم نشأة كاثوليكية[٩٢]، وجرت حملة آخرى لنفيهم بموجب المرسوم الملكي الصادر في ٢٨ تشرين الاول من عام ١٥٧٠ م

وأشرف دون خوان أيضاً على تنفيذ المرسوم، إلا أن العدد كان كبيراً فاستعان بقوات ريكويسنس ودوق سيسه خوفاً من الإنفلات الأمني . وفي الأسبوع الاول من تشرين الثاني رحلت الوجبة الأولى منهم إلى قشتالة، وتبعتهم وجبات أخرى في الأسبوعين اللاحقين، واستمرت سياسة النفي مع استمرار استسلام الثوار ونزولهم من الجبال وبلغ عدد المنفيين بهذا الحملة ٥٠.٠٠٠ أندلسي، وتكرر انتزاع الأطفال من الأمهات وتوزيعهم على القشتاليين [٩٣].

استمرت المراسيم الملكية بالصدور ضد الأندلسيين ففي ٢٤ شباط من عام ١٥٧١ م صدرت مجموعة من القوانين باسم مجموعة القوانين المحلية الخاصة بمملكة غرناطة والتي جاء فيها " لا يجب أخذ الموريسكيين الذين لم يشاركوا في العصيان بجريرة العاصين، وعلينا ألا نرغب في إيذائهم، لكن لن يستطيع هولاء من اليوم استغلال أراضيهم لأن محاولة فصل الأبرياء عن المذنبين مهمة بلا نهاية، وسنعمل على تعويضهم بالتاكيد في المستقبل، لكن أملاكهم ستصادر في الوقت الراهن مثلهم في ذلك مثل الموريسكيين الثائرين"، ولم يعوض أي أندلسي بل أن هذا المرسوم أثار التذمر بين القشتاليين الذين عدّوه تسامحاً مع الأندلسيين . وصدر مرسوم آخر في تشرين الأول من عام ١٥٧٢م حرّم استعمال اللغة العربية بالتخاطب والكتابة، وحدد المرسوم العقوبة الأولى بالسجن والتكبيل بالحديد لمدة ثلاثين يوماً، وإن تكررت المخالفة تكون العقوبة الثانية ضعف العقاب الأول، وفي حالة تكرر المخالفة للمرة الثالثة تكون العقوبة الخدمة في السفن المسماة القواديس لمدة أربع سنوات مع مائة جلدة، كما أن العثور على وثيقة أو صحيفة مكتوبة باللغة العربية تكون عقوبته الخدمة أربع سنوات في سفن القواديس، فضلاً عن عدم قانونية الوثيقة والصك المكتوب باللغة العربية والعقوبة للمسؤولين عنها ٢٠٠ جلدة والخدمة ست سنوات في سفن القواديس، وشملت قائمة المحظورات عدداً كبيراً من النصوص الأخرى منها عقوبة لمن يترك المناطق السكنية المحددة، وعقوبة لمن يلقى عليه القبض ممن تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسابعة عشر بمسافة عشرة فراسخ، تقريبا ٥٥ كم، بعيد عن غرناطة بالعمل طوال حياته في سفن القواديس، ومن كان عمره أكثر من ذلك فستكون العقوبة الإعدام، كما فرضت عقوبة السجن لمدة شهر والجلد للأندلسيين إذا تخلفت الأسرة عن تقديم البلاغ عن الأندلسيين الفارين من مناطق سكناهم المحددة لهم بغض النظر عن نوع القرابة التي تربطهم بالهارب [٩٤].

ونتيجة للقسوة التي جوبهت بها الثورة حاول الأندلسيون الحصول على المساعدة الدولية من شمال أفريقيا وفرنسا، إلا أن جهودهم فشلت [٩٥] .

كما عملت السلطة على نفي سكان المرية، حتى نقص السكان وبلغ العدد سبعة آلاف فقط، وحاولت السلطة تعويض السكان في المناطق التي نفي سكانها بالمهاجرين القشتاليين وغيرهم، لكنها لم تجد إلا عدداً قليلاً منهم، ولم تستعيد تلك المناطق عافيتها إلا بعد نحو مائة عام.

كما حدث أن تعرض ثلاثة آلاف امرأة وطفل إلى السبي من حصن أنوش، فقد تجمع في هذا الحصن النساء والأطفال في أثناء أحداث الثورة الأندلسية الكبرى بانتظار الفرصة للعبور إلى المغرب، ولما علم المرتزقة الأوروبيين والقشاتلة والأرغوانيين هاجموا الحصن وسبوا النساء والأطفال[٩٦].

ثالثا: ثورات أخرى

١- ثورة أرغون

في عهد كارلوس الخامس صدر مرسوم في ٨ كانون الأول من عام ١٥٢٥م أكد التشدد في تطبيق الأمر الملكي الصادر في عام ١٥٠٨م، وأضاف إليه محظورات جديدة، فضلاً عن التعميد الإجباري لمجموعة كبيرة من الأندلسيين، فقد أصر المرسوم على إجبار الأندلسي على التعميد قسراً قبل ٣١ كانون الثاني، فثار أهل أرغون بانتفاضة اشترك فيها ٢٦ ألف عائلة أندلسية، تقريباً ١٣٠ ألف أندلسي، إلا أن كارلوس جهز جيشاً تمكن من القضاء على الانتفاظة، كما تمكن من القضاء سابقاً على انتفاضة احتمى بعدها الأندلسيين في الجبال [٩٧] .

٢- ثورة بلنسية

قامت ثورة في سنة ١٥٢٦م في ضواحي بلنسية بجبال (sierra de Espadan) ضد محاكم التفتيش، شارك فيها ٢٦٠٠٠ أندلسي على المصادر الكنسية، ولكن الثورة فشلت بسبب نقص الإمدادات بالسلاح والمؤن، وصدرت بحق المشاركين بالثورة أشد انواع التنكيل [٩٨].

رابعا:- الانتفاضة ضد قرار الطرد

وفي الوقت الذي بدأت فيه السلطة بالاستعداد لإصدار وتنفيذ قرار الطرد، كان الرأي العام منقسم بين مؤيد للقرار للتخلص من النصارى المزيفين ويرى أنه قرار بطولي، وبين من وقف ضده لأنه قرار قاسي ليس له مايبرره فضلاً عن أنه سيزيد من حالة الضعف التي تمر بها البلاد، وكان

معظم القشتاليين مع الطرد، أما النبلاء والإقطاعيين الذين تدار أملاكهم من قبل الأندلسيين فكانوا ضده [٩٩].

كانت زيارة فيليب الثالث لبلنسية من أجل عقد قرانه في عام ١٥٩٩م، مناسبة لأصداره مرسوماً بالعفو عن الأندلسيين إذا اعترفوا للكنيسة بذنوبهم وطلبوا المغفرة والصلح، وأصدر الأوامر إلى رئيس أساقفة بلنسية بتعميد من لم يتعمد بعد ومعاملتهم معاملة حسنة، وفي حزيران من السنة ذاتها أصدر البابا بولس الخامس قراراً بالعفو العام عن خطاياهم، وكانت مهلة العفو سنة واحدة، ولكن لم يتقدم الأندلسيون للاعتراف بخطاياهم في تلك المهلة [١٠٠]، فعمدت الكنيسة بالقوة مجموعة من الأندلسيين الذين احتجوا على ذلك، فكان رد السلطة إتهامهم بالتآمر ضد اسبانيا والتعاون مع الفرنسيين، وتوفير ٢٠٠ ألف مقاتل لإحتلال بلنسية . وأصدر أحكام الإعدام على عدد منهم، ومع ذلك استمر الأندلسيون يقاومون التعميد، وكان الدوق ليرما من المناصرين لقرار الطرد، إذ قال " لن تصبح ممالك اسبانيا نقية طاهرة إلا بإقصاء الموريسكيين عنها"، وعقد اتفاق مع البابا بولس على عقد اجتماع لدراسة الإجراءات التي يجب استخدامها لتنصير الأندلسيين، وإعادة تعميد من تعمد سابقاً، وكان من أهم قرارات ذلك الاجتماع تأليف مجلس ضم كل من مجمع أسقفي، ودي ربيره، ودون كاريو الطليطلي، والمركيز دي كرانثيا نائب الملك في بلنسية، وأساقفة مدينة أريولة، وسيغوربي وطرطوشة، وتسعة علماء في اللاهوت، وقاضي محكمة التحقيق بارتولد سانشيث، والمؤرخ غاسبار إيسكولانو سكرتيرا للمجلس، الذي اجتمع لمدة ثلاثة أشهر من ٢٢ تشرين الثاني ١٦٠٦م أصدروا بعدها قرارهم بتنصير الأندلسيين مرة أخرى، وطرد من يرفض القرار، ولكن الأندلسيين استمروا في تجاهل القرار، فكلف الكونت دي ميراند قائد ليون الأعلى والراهب خيرونيمو الاتصال مع البابا بولس الخامس والاقتراح عليه الموافقة على قرار الطرد، وبالفعل وافق البابا، وفي ٢٩ تشرين الاول ١٦٠٧م دخل قرار الطرد إلى مجلس الدولة الاستشاري للتصديق عليه، وفي الرابع من نيسان في عام ١٦٠٩ م نال القرار المصادقة المطلوبة، وبعدها بخمسة أيام نشر القرار[١٠١].

وبدأ دوق ليرما الكتابة إلى حكام نابولي وصقلية وميلانو من أجل إرسال السفن إلى بلنسية، وكان القائد العسكري أوغسطين دي ميخيا هو المسؤول عن التنفيذ، والذي وصل بلنسية في ٢٠ آب، وبدأ باتخاذ الترتيبات الضرورية للتنفيذ، وفي بداية أيلول وصلت السفن إلى بلنسية، وبلغ عددها

أثنان وستون قادس وأربعة عشر غليون (سفينة كبيرة) ومعها ثمانية آلاف جندي، وفي ١٩ أيلول فرضت السلطة حظر التجول على الأندلسيين، والمخالف ستكون عقوبتها إطلاق النار عليه، وفي ٢٢ ايلول من عام ١٦٠٩م قرأ على الاندلسيين مرسوم الملك المكون من ثلاثة عشر بنداً [١٠٢].

أما عن الخطة التي أتبعت لتنفيذ المرسوم الملكي فكانت جمع الأندلسيين في أماكن محددة وهي بلنسية ومرسية وبرغش وغرناطة، ومن ثم توزيعهم على ١٣ مدينة في الشمال (سومبورت، ورنشفالة وإيرون)، والجنوب (مالقة، واشبيلية) والساحل الشرقي (دانية، ولقنت، وقرطاجنة الخلفاء، وابن العروس، والآفاق) [١٠٣].

وعلى الرغم من محاولة السلطة التخطيط والتنظيم لتنفيذ المرسوم الملكي بطرد الأندلسيين، إلا أنه على أرض الواقع استغرق التنفيذ سنوات طويلة من ١٦٠٩-١٦١٤م، ورافقه انتهاكات عديدة للمرسوم الذي أوصى بالمعاملة الحسنى وتأمين الطعام أثناء الإبحار، وسمح لهم بأخذ ممتلكاتهم المنقولة التي يمكن حملها على ظهورهم، إلا أن المركيز دي كرانثيا منعهم من البيع، ولكنه سمح بالبيع للنبلاء لتسديد ديون الأندلسيين . لذلك فضل بعض الأندلسيين الهروب إلى الجبال مع ممتلكاتهم وصكوكهم إلى حين توفر الفرصة المناسبة لهروبهم، بينما قام النبلاء وأصحاب المصانع بإخفاء الأندلسيين الذين كانوا يعملون عندهم، أما الآخرون فكان عليهم دفع عشرة ريالات ذهبية أجرة نقلهم، ثم عدل المرسوم وفرض عليهم دفع مبالغ إضافية، إذ يجب عليهم دفع ضريبة ما أخذوه معهم، ثم عدل ليجبرهم على دفع نفقات مرافقيهم من الجنود والمسؤولين، لذلك لم يجد بعض الأندلسيين القدرة على دفع نفقات النفي فهربوا إلى الجبال، كما تولدت حالة من الشك بالجنود الإسبان المسؤولين عن نفي الأندلسيين، لأن السفن تعود وليس فيها أندلسيين يشهدون بوصول أخوانهم إلى المنفى بأمان وسلام [١٠٤].

١- انتفاضة غندة

لكل تلك الأسباب بدأ الأندلسيون المجتمعون في ضيعة لدوق غندة التي تبعد ٦٧ كم جنوب مدينة بلنسية بالانتفاضة، التي وصلت شرارتها إلى أماكن أخرى، وفي ١٥ تشرين الأول من عام ١٦٠٩م هاجم الأندلسيون وكيل الشرطة في قرية دوس- أغواس، وفي ٢٥ من الشهر ذاته كانت عشرين قرية أندلسية قد أعلنت الانتفاضة، وكان عمير هو الزعيم الذي شجع وحرض الأندلسيين على القيام بتلك الانتفاضة ضد المركيز دي كرانثيا، وتوسعت

الساحة السياسية للانتفاضة، وتم اختيار الطريقي زعيماً آخر للانتفاضة ،الذي نجح بقيادة جيش من ألف مقاتل وتمكنوا من قطع الطريق إلى شاطبة، ثم جرت مفاوضات مع حاكم المنطقة طلب فيها الطريقي نقل رجاءه إلى المركيز دي كرانثيا بتأجيل نفيهم حتى الربيع للسماح لهم ببيع ممتلكاتهم . ومن سير الأحداث يبدو أن المركيز رفض، فقام الطريقي بنقل مقره إلى منطقة شقر، وبدأ بالهجوم على قوات المركيز دي كرانثيا، الذي استمر بمطاردة الطريقي وفي ٦ كانون الاول من عام ١٦٠٩م أرشد أحد افراد جماعته عن مكان اختباء الطريقي، فألقي القبض عليه في مغارة، وبعد عشرة أيام أركبوه حماراً، وطافوا به في شوارع بلنسية، وقرب بوابة سان فنسينته قطعوا يده اليمنى، ونزل وحمل يده اليمنى المقطوعة بيده اليسرى وهو يصرخ ويبكي، وتم تعذيبه قبل قتله وقطع رأسه وعلقوه على البوابة، أما أنصاره فالبعض قتل والبعض الآخر عذب وسجن وصار عبداً [١٠٥].

٢- انتفاضة وادي الحر

تقع مدينة كونفرنتيس على بعد ١٠٩ كم من الجنوب الغربي من بلنسية، وفيها ثار ما بين ١٥.٠٠٠-٢٠.٠٠٠، وتحصنوا في وادي الحر لأن فيه عدد من الحصون القديمة، وكان جيرونيمو ميليني الطحان من قرية كونفرنتيس زعيما لتلك الانتفاضة، وجرت مفاوضات بينه و نائب القائد العسكري دي ميخيا الذي عرض على الثوار الأمان مقابل الاستسلام، إلا أن ميليني وجماعته رفضوا ذلك، وتحصنوا في قلعة بني موريل ومعهم أسرهم، ودارت معركة عنيفة قرب القلعة استشهد فيها ميليني وعدد من جماعته، فانسحب الآخرون إلى القلعة وتحصنوا فيها وحاصر دي ميخيا القلعة لمدة ثمانية أيام قطعوا الماء عن القلعة، فأخذ العطش قوتهم وطلبوا السلم فوافق دي ميخيا، وفي ٢٦ تشرين الثاني من عام من عام ١٦٠٩م فتحت أبواب القلعة للجنود، واندفع بعض الثوار نحو عين الماء القريبة من القلعة فشربوا حتى شدقوا وماتوا، أما الآخرين فقد وقعوا في الأسر وقادوهم إلى الموانئ، وفي الطريق ترك الجنود الأسرى للاسبان وقتلوا منهم الكثير، أما الذين نجوا من الاسبان فقد بلغ منهم التعب والبؤس حتى تخلى بعضهم عن زوجته وأولاده للمسيحيين الاسبان حتى لايموتوا في الطريق من الجوع أو القتل، وقبل الوصول إلى بلنسية قتل الجنود عدداً كبيراً من الأسرى، وأخذوا النساء والأولاد وباعوهم عبيداً، وتمكن ألفين من الأسرى في مراحل مختلفة من تلك الرحلة الطويلة من الفرار [١٠٦].

وكان من أهم نتائج انتفاضة وادي الحر أن أرسل المركيز دي كرانثيا إلى الملك فيليب الثالث رسالة نقل فيها اقتراح رئيس الأساقفة خوان دي ربيره إلغاء بند المرسوم الملكي الذي ينص على إبقاء الستة بالمائة من الأندلسيين في بلنسية، ووافق الملك على الاقتراح برسالة أرسلها إلى رئيس الأساقفة دي ربيره في ٢٣ تشرين الاول ١٦٠٩م، جاء فيها " إشارة إلى ما تقولون أرى من الأنسب عدم إبقاء أي موريسكي، لأن الأرض يمكن أن تفلح من دونهم، وبذلك أصدرت أوامري، كما فهمتم من مركيز دي كرانثيا"[١٠٧].

وفي ٩ كانون الثاني ١٦١٠م أصدر الملك فيليب الثالث المرسوم الخاص بإلغاء بند الستة بالمائة، واستثنى الاطفال دون السن الثانية عشرة سنة، من ثم عدل فيما بعد الاستثناء ليشمل فقط الاطفال دون السن السابعة .

ويمكن القول أن أهم مميزات الحياة السياسية للأندلسيين أثناء الصدام المسلح مع السلطة المسيحية الحاكمة أنهم كانوا منقطعين عن الأمتين العربية والإسلامية، كما أن السياسة المتبعة ضدهم هي التي استفزتهم من أجل إعلان الانتفاضات والثوارات .

ويبدو بشكل واضح أن مطالب الأندلسيين لم تكن تتعدى الإنصاف في معاملتهم ، وحقهم في ممارسة حقوقهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، بعيداً عن التعصب والتشدد في فرض العقوبات عليهم، ولم تكن لهم أي مطالب سياسية، ولو تعاملت معهم السلطة بشيء بسيط من الرأفة والحريات النسبية فربما لم تكن تتطور الأحداث السياسية إلى ما وصلت إليه .

<u>الخاتمة :</u>

من خلال الكتابة عن " الأحوال العامة للأندلسيين في غرناطة بعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي دراسة تاريخية " يمكننا القول أن المأساة الإنسانية القاسية التي عاشها الأندلسيون كانت صراعاً دينياً وعنصرياً ترك ظلاله على كل جوانب الحياة العامة، وكانت الغاية من ورائه الإبادة الجماعية للاندلسيين.

فبعد أن عجزوا عن ممارسة حياتهم اليومية بحرية في المعتقد والملابس والمأكل والكلام، لجأوا إلى السر بعيداً عن العيون التي كانت تراقب تحركاتهم، وأمام اضطهاد محاكم التفتيش والمجتمع المشحون كراهية وعداء لهم، كانت الوسائل المتاحة أمامهم هي التقية والاحتيال بالممكن على القوانين التي تحرم عليهم ممارسة أي من حقوقهم، ودفع الرشوة للحصول على شيء من الحرية النسبية. فكانت لهم وسائل للتواصل فيما بينهم للحفاظ

على كيانهم، وعلى الرغم من التظاهر بقبول التنصير، إلا أن السلطة الحاكمة تدرك أنهم في الحقيقة لا يزالوا على عقيدتهم سراً، الأمر الذي جعل لهم كيان مميز سهل في الكثير من الأحيان كشف أمرهم .

كان العامل الديني هو الفيصل الذي تحكم في طبيعة العلاقة العدائية التي كانت بين الأندلسيين والقشتاليين، فقد سعت قشتالة إلى جعلهم مسيحيين بالقوة والإجبار من خلال المراسيم والقوانين التي جردتهم من حقوقهم كافة، ولم تعط النتائج المرجوة منها، بل على العكس عززت في نفوسهم عقيدتهم الإسلامية وقوميتهم العربية، ثم جاء العامل الاقتصادي ليزيد من احتقان العلاقة بينهم، إذ تمتع الأندلسيون بالقدرة المهنية العالية والخبرة في إدارة المشاريع الاقتصادية ، لذلك عمل القشتاليون على استغلالهم وإجبارهم على دفع الأموال كضرائب وغرامات ورشاوي مقابل منحهم شيء من التغاضي عند ممارستهم للحرية النسبية والسرية في ممارسة أبسط حقوقهم .

وقد أدت العلاقة المتوترة والعدائية بين الجانبين إلى استماتة القشتاليين باستئصال الوجود الأندلسي بكل مظاهره عن الحياة العامة، فمنعتهم من ممارسة حياتهم الاجتماعية، ومن حقهم في التخاطب والكتابة باللغة العربية فيما بينهم، ومن حقهم في تسمية أبنائهم بالأسماء العربية، ومن ملابسهم التقليدية، ومن عاداتهم وتقاليدهم، بل عملت على إهانتهم في نعتهم بالصفات والألقاب التي تحمل في معانيها التحقير والتذليل، حتى من رضي أو أجبر على اعتناق الدين المسيحي يبقى مواطن من الدرجة الثانية ويبقى في دائرة الشك والريبة .

لم تكن الحرب الفكرية بعيدة عن الصراع بين الأندلسيين والقشتاليين، فكان محرم على الأندلسيين التأليف والكتابة باللغة العربية واقتناء الكتب العربية أيا كان موضوعها، بل كان العثور على كتاب عربي يعني التعرض لعقوبات قاسية تصل إلى الحرق، حتى أن الحقد الأعمى دفعهم إلى حرق أعداد كبيرة منها في ساحة باب الرملة . ولم ينجو من تلك المحرقة إلا أعدادا قليلة في موضوعات علمية، محاولين بذلك قطع الصلة الفكرية بين الأندلسيين وماضيهم الحضاري، ومع ذلك كان لهم نتاج ضئيل بالقدر الذي سمحت به ظروف المحنة التي عاشوها آنذاك .

وعلى الرغم من كثرة المراسيم والقوانين التي صدرت وطول الحقبة الزمنية التي تعدت القرن من الزمن، فإن السلطة اعترفت بالعجز عن إخضاع الأندلسيين إلى إرادتها في إصدار مرسوم الطرد النهائي، الذي يعني أن قوة

الاندلسيين وصمودهم على الرغم من سياسة القمع والاضطهاد الوحشي ضدهم كانت أقوى من قوتهم السياسية .

وكان الأندلسيون يستمدون قوتهم للصمود من قوة عقيدتهم وإيمانهم الذي يعطي دليلاً على أن انتشار الإسلام في الأندلس لم يكن بالسيف وحده، وانما كان انتشاره في سلوكيات المجتمع الإسلامي الذي آمن أن الإسلام نعمة والنعم تهدى ولا تفرض، فالإسلام انتشر بذاته وقوة منهجه ولم يفرض بالقوة لذلك فإن من اعتنق الإسلام بعد فتح الأندلس كان اعتناقه عن قناعة صادقة، فآمن به ونقله إلى الأبناء والأحفاد، لو لم تكن العقيدة بتلك القوة والتمكن لكان من السهل التخلي عنها مادام أن القوة السياسة للمسلمين انتهت .

ولابد من أن نذكر أن الكتابة عن مأساة الأندلسيين يحتاج أكثر من الأحساس بحزنهم وألمهم، يحتاج الى اقلام تذكر وتطالب بحقوقهم المسلوبة التي يجب أن يحصل عليها الأحفاد كما حدث مع أحفاد اليهود السفارديم.

قائمة الهوامش :

[١]- ينظر :- ابن قوطية، أبو بكر محمد . تاريخ افتتاح الأندلس، بيروت، ١٩٥٧، ص ص١١٠، ٢١١ ؛ الشنتريني، أبو الحسن . الذخيرة في محاسن الجزيرة، القاهرة، ج٤، ص ص١٣١-١٣٢؛ المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي(٦٤٧هـ) . المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣، ص١١٤ .

[2]-Angel Galan Sanchez, op.cit, p.133-140;- Rachel Arie , op.cit,p.169-200.

[٣]- إعادة توزيع سكان غرناطة من أول الانتهاكات لمعاهدة التسليم التي نصت على " تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ..." ينظر : المقرى، نفح الطيب، ٤/٥٢٥-٥٢٦؛ ينظر : مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار بني نصر، تحقيق محمد رضوان الدية، العرائش، ١٩٤٠، ص٤١.

Angel Galan Sanchez, op.cit, p.193- 195. -

[4] Angel Galan Sanchez, op.cit, p.26; Luis del mármol Carvajal, op.cit, p. 193-201.

[٥]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص٣٢، ١٢٧-١٢٨ ، ١٦٠ .

Luis del mármol Carvajal, op.cit, p. 60-65.

[6]- Belkacem Drardja, op.cit, p.2/ 73.

[7]- Ibid, ٢/ ٣٧.

[8]- cardona, Aznar, op.cit, p.100

[٩]- عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ص ١٥٦-١٥٧ .

[10]- Belkacem Drardja, op.cit, p. ٢ /73; Angel Galan Sanchez, op.cit, p.201-205.
[11]- Belkacem Drardja, op.cit, p.2/ 73; Angel Galan Sanchez, op.cit, p. 189-223.
[12]-Belkacem Drardja, op.cit, p.2/ 73.
[١٣]- في عهد كارلوس الخامس ثارت المدن ضده لأسباب مختلفة منها، سياسته التي سببت التذمر الذي تحول الى سخط شعبي، فاندلعت ضده الثورة في مدن متعددة، وانقسمت اسبانيا بين المؤيد والمعارض لحكمه، ولكنه تمكن من القضاء عليها في عام ١٥٢٢ . ينظر :-
Luis del mármol Carvajal, op.cit, p.299-234
[14]- Belkacem Drardja, op.cit, p.2/ 73.
[15]- Angel Galan Sanchez, op.cit, p.229- 254.
[16]- Liorente, Juan Antonio, op.cit, 1/240-248; Francisco J, Moreno diaz, op.cit, p.254-270.
[17]-Luis del mármol Carvajal, op.cit, p. 69 .
[١٨]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص ١٥١-١٥٢ ،١٦٢ - ١٦٣
[19] -Liorente, Juan Antonio, op.cit, 2/ 287.
[٢٠]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص ١٧٨،١٦١-١٨٩؛ لوي كارديناك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ص ٢٣.
[٢١]- لوي كارديناك، الموريسكيون والأندلسيون والمسيحيون، ص ص٢٣-٢٤.
[22] -Plaidy, Jean , The end of the Spanish inquisition , London, 1961, p 65 .
عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٢٦٩
[٢٣]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص١٧٨-١٨٩، ٢٩٥ ؛ لوي كارديناك، الموريسكيون والأندلسيون والمسيحيون، ص ٣١ .
[24]- Francisco J, Moreno diaz, op.cit, p.341-359.
عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص ٢٦٧- ٢٦٨ .
[25]- David Levering Lewis, op.cit, p.٢٢٤ .
[26]-Angel Galan Sanchez, op.cit, p.49,90
[٢٧]- إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية، ص٦٨-٦٩ .
[٢٨]- إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية ، ص٦٨-٦٩؛ عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٢٩٤ .
[٢٩]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٢٩٥؛ لوي كارديناك، الموريسكيون والأندلسيون والمسيحيون، ص ١٠٤-١٠٥ .
[٣٠]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ١٦٢، ٣٠٠-٣٠٢ .
[٣١]- ينظر عن المبعوثين الاندلسيين لطلب المساعدة الدولية :- عبد العزيز الاهواني ، سفارة سياسية من غرناطة الى القاهرة سنة ٨٤٤هـ ، مجلة كلية الاداب - المجلد ١٦، ج١، مايو

١٩٥٤، ص، ص٤٦ ،١١٣ ؛ عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الاندلسيين، زغوان، ١٩٨٩، ص ١١.

[٣٢]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٢٩٨-٣٠٠ .

[٣٣] - ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ١/ ٣٥١ .

[34] -Archivo de las corona de Aragon, consejo de Aragon, Valencia , 607, folio26, 1609, 23 de Diciembre.

[35]- Archivo de las corona de Aragon, consejo de Aragon, Valencia, 607, folio 7, Octobre 1611 .

[٣٦]- إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية ، ص ٦٨-٦٩.

[٣٧]- من الشخصيات المعروفة والتي تحمل الدم الاندلسي رئيس الولايات الاميركية إبراهام لنكولن (١٨٦١-١٨٦٥)، رئيس الجمهورية الإسبانية نسيتو القلعة سمورة (١٩٣١-١٩٣٩)، ورئيس الوزراء الإسباني خوسيه ماريا أثنار (١٩٩٦-٢٠٠٤)، كذلك لايزال الكثيرين في اسبانيا والبرتغال يحملون أسماء عربية مثل على ذلك رفال وتعني رحال، البوكيركية وهي تحريف عن البرقوقي، بوفيرا أي البحيرة ، سراخ أي سراج . ينظر :- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٠ .

[38] - Defourneaux , Marcelin, Daily life in Spain in the Golden Age, p. 83.

[39] -Lapeyre, Henri, Geographie de l´Espagne Morisque, parís, 1959, p. 202.

[٤٠]- حامد غنيم ابو سعيد، مكتبة غرناطة الإسلامية والمصير الذي آلت اليه، في : عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩٣، ٢/ ٢٦٥-٢٦٦ .

[٤١]- المصدر نفسه ، ٢/ ٢٦٥- ٢٦٦ .

[42]-Alvaro Galmes de Fuentes, La lengua española de la literalura aljamiado- morisca comex presión de una minoría religiosa, Espanola de Lingüística, Ano 16, fasc 1, Enero- Junio 1986 .

[٤٣]- ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ١/ ٣٣٠-٣٣١ ؛

L.p. Harvey, op.cit, p.380-398.

[٤٤] - إغناثيون كوتيرث دي تران كومث بنيتا، النقوش الكتابية في اسبانيا وصناعة الأحرف على المواد الصلبة، في: ماء العينين ماء العينين العتيق، اللغة العربية في اسبانيا، الرياض، ٢٠١٥، ص ١١٧.

[٤٥]-Mercedes Garcia Arenal op.cit, p.33 ;

ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ١/ ٣٤٩-٣٥٠ .

[٤٦]- ترجم هذا الكتاب الى الأسبانية كورينطي وبوزينب . ينظر :- إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية، ص ٦٨-٦٩ ؛

L.p. Harvey, op.cit, p. 264-290.

[47]- Abdel latif Mohammed M. seery, op.cit, 2/١٦٦-168

[48] - Abdel latif Mohammed M. seery, op.cit, 2/167-168; L.p. Harvey, op.cit, p. 264-290.

[٤٩]- إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية، ص ٦٨-٦٩.

[٥٠]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٣٠؛ عن أخبار الأندلسيين المنفيين في منفاهم، ينظر :- الحجاري، أحمد بن قاسم(ت بعد ١٦٤٠هـ) . ناصر الدين على القوم الكافرين ، تحقيق شورد فان كوننكرفلذ وقاسم السامرائي وخيرارد فيخرز، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية الوكالة الاسبانية للتعاون الاوربي ،د.ت، ص١٦-٤٤..L.p. Harvey, op.cit,p. 122-200

[٥١]- حول الاندلسيين المنفيون في بلاد المغرب الإسلامي ينظر: الناصري، أبو العباس احمد بن خالد. الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ج٢، ص ١٦٦؛ المقري، نفح الطيب، ج٤ ، ص٥٢٧-٥٢٨؛ عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٣٦.

[٥٢]- محمد حجي ، الموريسكيون والجهاد البحري، ص ٧١.

[53]-Abdelhakim Gafsi, La decouverte d' une conduit d'eau dans un village morisco – andalous en Tunisie: ghar el melh. in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol. 2, p238-239 ;

ناصر الدين سيعدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر، ص ص ٥٦-٧٦.

[٥٤]- عبد الرحمن الحجي، قصيدة رائعة في رثاء الأندلس لشاعر أندلسي مجهول، مجلة المناهل، العدد ٢٨، السنة العاشرة، ص ٣٤٢،١٩٨٣-٣٦٠؛ حسن الوراكلي، ملامح من صورة الموريسكي في الأدب الإسباني، مجلة المناهل، العدد ٢٨، السنة العاشرة، ١٩٨٣، ص ١٥٤-١٩٧.

[٥٥]- عادل سعيد بشتاوي، المواركة، ص ٣١٤ ؛ لوي كارديالك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ص ٨٣ .

[56]- Ridha Mami, Juan Alonso Aragones :Romancista morisco del siglo xvll . in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993 ,vol .2, p. 248.

[57]- Antonio Vespertion Rodriguez, los acm Allah al- ucna en la literature aljamiado – morisco. in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993,vol 2, p. 255.

[58]- Mercedes Garcia Arenal, op.cit, p.١10-127;

محمد رزق، الاندلسيون وهجراتهم، ص ص٢٧٧-٢٧٩ .

[٥٩]- محمد رزق، الأندلسيون وهجراتهم، ص ص٢٧٤-٢٧٥ .

[٦٠]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٤٠-٣٤٣ ؛ ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ١/٣٥٢-٣٥٣ .

[٦١]- محمد رزق، الأندلسيون وهجراتهم، ص ص ٢٧٦-٢٧٧ .
[٦٢]- المرجع نفسه، ص ص ٢٩٧-٢٩٨ ؛ Rachel Arie , op.cit, p.315-320.
[٦٣]- عباس الجراري، التأثير الموريسكي في الطرب المغربي، في : الموريسكيون في المغرب، منشور أكاديمية المملكة المغربية الندوة الثانية ٢٢-٢٤ جمادى الثاني ٢١-٢٣ شتنبر، شفشاون ، ٢٠٠٠، ص ٢٠٤ ؛ Rachel Arie, op.cit, p.315-320.
[٦٤]- محمد حجي، الموريسكيون والجهاد البحري، ص ٧١.
-Vin cent Barletta, op.cit, p. 2-29
[٦٥]- محمد رزق، الأندلسيون وهجراتهم، ص ص ٢٩٨-٢٩٩ . ينظر كذلك :-
Carmen Gonzalez Roman, La carpintería de armar, malaga , 2012, p. 21-30 .
[٦٦]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٤٠-٣٤٣؛ ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ٣٥٢/١-٣٥٣ .
[٦٧]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ٣٤٠- ٣٤٣؛ ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين، ٣٥٢/١-٣٥٣ .
[٦٨]- حول النشاطات الاقتصادي للأندلسيين في بلاد المنفى ينظر :- ناصر الدين سيعدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر، ص ص ٥٦-٧٦.
[٦٩]- الحسن السائح، إشعاع الموريسكيين في المغرب الأقصى، ٢/ ٢٦٠؛ ناصر الدين سيعدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر، ص ص ٥٦-٧٦.
[٧٠]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص ٢٨- ٢٩ .
[71] - Belkacem Drardja, op.cit , 2/67-72.
[72] - Belkacem Drardja, op.cit, 2/76 ;
لوي كارديلك، الموريسكسون الأندلسيون والمسيحيون، ص ص ١٤٠-١٤٧؛ حمادي عبد الله ، الموريسكيون وحاكم التفتيش في الأندلس، ص٣٤ .
[٧٣]- يرى بعض المؤرخين حادثة الجواسيس بأنها السبب في اندلاع الثورة الأندلسية الأولى، بينما يرى البعض الآخر حادثة سجن المرأة هي سبب إعلان الثورة الأندلسية الأولى، ولكننا نرى أن السببين متداخليين مع بعض، فتسلسل الأحداث يظهر أن خيمينس أدرك أثر المسلمين المتشددين في إثارة الرأي العام ضده، أما الجواسيس فلابد ان خيمينس كان قد نشر عيونه في كل أنحاء غرناطة قبل هذه الحادثة ، إلا ان السكان لم يعترضوا لهم ، فكانت حادثة المرأة حيث ضجت غرناطة وحملوا السلاح ، ومن ثم تجرأو على التعرض للجواسيس فدخلوا في مشادة كلامية تطورت إلى قتل اثنيين منهم . ينظر :- حمادي عبد الله ، الموريسكيون وحاكم التفتيش في الأندلس ، ص٣٤ .
[٧٤]- تركت ايزابيلا غرناطة بعد تثبيت أركان السلطة القشتالية فيها واتجهت الى اشبيلية حيث غدت مقرها . ينظر :- لوي كارديلك ، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ص ص ١٤٠-١٤٧.
[٧٥]- عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ص ١٣٤- ١٣٦ .
[76] - Belkacem Drardja, op.cit , 2/76.

لوي كارداك ، الموريسكسون الأندلسيون والمسيحيون ، ص ص ١٤٠-١٤٧؛ حمادي عبد الله ، الموريسكيون وحاكم التفتيش في الأندلس، ص٣٤ .

[٧٧]- عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص١٣٦ .

[٧٨]- عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ص١٣٦-١٣٧ ؛عادل سعيد بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ١١٧.

[٧٩] عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة ، ص١١٩ .

[٨٠]- ينظر : نفح الطيب ، ٤/ ٥٢٧؛ أزهار الرياض في أخبار عياض، ص ص ٦٨-٦٩ .

[٨١] عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص138 -١٣٩ .

[٨٢]- يتكون المجلس الحربي من مركيز مندخار، دوق سيسه حفيد غونثالوالقرطبي ، وبدرو دي ريثا رئيس المحكمة العليا، ولويس كيخادا المرافق الخاص للملك فيليب الثاني ، واشترط الملك فيليب على دون خوان الأخذ برأي المجلس الحربي بالاجماع، وإذا لم يتحقق الأجماع عليه الرجوع إلى الملك لإتخاذ القرار النهائي . ينظر : عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ١٦٣-١٦٦ .

[٨٣]- قدم البعض تفسير لقرارات الملك فيليب الثاني، بأنه حاول أعطاء المركيز بلش مالقة مكانته ضد المركيز مندخار، فضلا عن أنه أعطى أشارة إلى التشكيك بمركيز مندخار الذي اهتزت الثقة بتصرفاته وقراراته، كما أنه منع أخيه دون خوان من الاشتراك بالقتال لصغرسنه وقلة خبرته والخوف من قتله، الذي سيعطي للثوار الأندلسيين قوة معنوية ويشجع الأندلسيين الأخرين على الانظمام للثوار . ينظر : عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ١٦٧ .

[٨٤]- المرجع نفسه ،ص ١٦٧-١٦٨

[٨٥]- المرجع نفسه ،ص ١٦٨

[٨٦]- السبب وراء طلب فيليب الثاني ذلك هو التطور في الساحة الأوروبية، إذ الأساطيل العثمانية تقترب من جزيرة قبرص، وكان البابا قد عهد الى فيليب الثاني قيادة حملة تمولها الكنيسة، ويتولى فيليب الثاني قيادتها، فأوكل فيليب قيادة الحملة إلى دون خوان بعد تمكنه من القضاء على الثورة ، لذلك كان الوقت في غاية الأهمية، لذلك طلب فيليب الثاني من دون خوان القضاء على الثورة بسرعة وفتح باب المفاوضات . عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ،ص ص١٧١- ١٧٢

[٨٧]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ١٧٢-١٧٣؛ عادل سعيد بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ص١٥٨

[٨٨]- عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ،ص ١٧٥

[٨٩]- عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ،ص ١٧٥-١٧٦ ؛ عادل سعيد بشتاوي ، الأندلسيون المواركة، ص ١٦٣ .

[90]- Belkacem Drardja, op.cit, 2/3-75.

[91] - L.p. Harvey, op.cit, p. 102-120; Francisco J, Moreno diaz, op.cit, p.277-281.

[92] - L.p. Harvey, op.cit,p.103-120; Francisco J, Moreno diaz, op.cit, p. 278-281.

[93]- Angel Galan Sanchez , op.cit,p.24-25

[94] - Francisco J, Moreno diaz, op.cit, p.277-290.
[95]- Belkacem Drardja, op.cit, 2/75-77.
ليونارد باتريك هارفي ، تاريخ الموريسكيين ، ١/ ٣٢٣-٣٢٥
[٩٦]- عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص١٧٨ .
[٩٧]- عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ١٥٠ ٢٥٢- ٢٥٤ .
Liorente Juan Antonio, op.cit, 1/240-250; Rule William Harris, History of the Inquisition, London, 1962 .
[98]- Belkacem Drardja, op.cit, 2/73.
[99]- L.p. Harvey, op.cit,p. 292-300; Benjamin Ehlers, btween Christians and moriscos Juan de Ribero and religious reform in Valencia 1568-1614, the johns Hopkins university , Baitimore ,p.80-106
[100]- Benjamin Ehlers, op.cit, p.80-106.
[101]- Francisco J, op.cit,p401-409.
[102]- L.p. Harvey, op.cit,p.291-332; Benjamin Ehlers, op.cit, p.106-126.
[١٠٣]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص ٣١٦-٣١٧ .
L.p. Harvey, op.cit,p.292-330; Benjamin Ehlers, op.cit, p.80-106
[104]- Barcelona, Archivo de las corona de Aragon, Registro de cancillería 5210.folio, 6, 1610.5 Febrero; Benjamin Ehlers, op.cit, p.151.
[١٠٥]- عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ،ص ص٣٢٠-٣٢١
[106] - Plaidy, Jean, op.cit, p 65; Lapeyre, Henri , Geographie de l´Espagne Morisque, p. 118-126;
محمد عبده حتاملة، لاتنصير القسري، ص ٢٥؛ عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص٣٢١-٣٢٢ .
[١٠٧]-عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ص٣٢٢-٣٢٣.

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر

١- البلوي، أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي (ت بعد ٧٦٧هـ) . تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن السائح ، المحمدية ، المغرب.

٢- الحجاري، أحمد بن قاسم (ت بعد ١٦٤٠م) . ناصر الدين على القوم الكافرين ، تحقيق، تحقيق شورد فان كوننكرفلذ وقاسم السامرائي وخيرارد فيخرز، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية الوكالة الاسبانية للتعاون الاوربي ،د.ت.

٣- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي(ت٦٤٧هـ) . المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٩٦٣.

٤- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) . أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٩٤٢م.

٥- ــــــــــــــ. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، د.م، د.ت .

٦- مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار بني نصر، تحقيق محمد رضوان الدية، العرائش، ١٩٤٠.

٧- الناصري، أبو العباس احمد بن خالد. الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧.

٨- الونشريشي، أبو العباس أحمد بن يحيى(ت ٩١٤هـ) . المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت .

ثانياً : المراجع

٩- حسين مؤنس، رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.

١٠- حمادي عبد الله، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، تونس – الجزائر، ١٩٨٩.

١١- صلاح فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، القاهرة، ١٩٨٩.

١٢- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، تاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠ .
١٣- _____ ، الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، مطابع أنترناشيونال القاهرة ،١٩٩٣
١٤- عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، زغوان، ١٩٨٩.
١٥- لوي كارياك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية ١٤٩٢-١٦٤٠ مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين في أمريكا، ترجمة عبد الجليل التميمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- تونس، ١٩٨٣.
١٦- محمد رزق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦و١٧ الميلادي، الدار البيضاء، ١٩٨٩ .
١٧- محمد عبد الله عنان ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٩٧.
١٨- محمد عبده حتاملة، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين، عمان، ١٩٨٠ .

المصادر الأجنبية :

19- Abdal Halim uwes, La Rivalidad Material y la Derrota de Al-andalus, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granade 1492- 1992, Zaghouan, 1993 .
20- Abdel Hakim Gafsi, La decouverte d' une conduit d'eau dans un village morisco – andalous en Tunisie: ghar el melh, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492-1992, Zaghouan , 1993 .
21- Abdel latif Mohammed M. seery, La Identidad Arabo Islámica de los Moriscos A Traves de la literatura Aljamiada, Publicado , in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492-1992, Zaghouan , 1993 .
22- Alvaro Galmes de Fuentes, La lengua española de la literalura aljamiado- morisca comex presión de una minoría religiosa, Espanola de Lingüística, Ano 16, fasc 1, Enero- Junio 1986 .
23- Angel Galan Sanchez, Una sociedad en Transicion Los granadinos de mudéjares a moriscos ,Granada , 2010 .

24- Antonio Vespertion Rodriguez, los acm Allah al-ucna en la literature aljamiado–morisco, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Vol. 2, Zaghouan , 1993 .
25- Aoureddine Sgair, con science Historique et Psycho collective a traves de la Literatura Aljamiada, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, vol.2, 1993.
26- Archivo de las corona de Aragon, consejo de Aragon, Valencia , 607,folio26, 1609, 23 de Diciembre.
27- Archivo de las corona de Aragon, consejo de Aragon, Valencia , 607,folio, 7, 1611, Octobre:
28- Belkacem Drardja, Los Musulmanes Andalusies Los comites de Inquisiciones y Las Sabios de AL Magrib Hacia Los AndalusIes que quedaron en Las Tierras Ocupadas , in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granade 1492- 1992, Zaghouan , 1993.
29- Bendicho, cronica del Alicante, Edicion y notas de F.Figueras, Alicante, 1960 .
30- Benjamin Ehlers, btween Christians and moriscos Juan de Ribero and religious reform in Valencia 1568-1614, the johns Hopkins university , Baitimore .
31- Bernard Leblon, Quelques reactions espagnoles après L´EXPULSION DES Morisques paralleles avec l´ expulsion avortee des gitans, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granade 1492- 1992, Zaghouan, 1993 .
32- Cheikha Djamaa, La chute de Granade atravers la poesie andalouse, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993 .
33- David Levering Lewis ,God's Crucible Islam and Making of Europe 570-1215, w.w.norton , New York- London, .
34- Defourneaux, Marcelin, Daily life in Spain in the Golden Age, London, 1970 .
35- Emilio Gonzalez Ferrin, Historia General de al-andalus, Segunda Edicion, Almuzara,2007 .
36- Fatima Rachidi, L in terpretation de Islam par Les chretiens: une method denseigner La doctrine catholique aux Moriscos, in:

Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492-1992, Zaghouan, 1993 .
37- Francisco J, Moreno diaz, Los Moriscos de la mancha sociedad economía y modos de vida de una minoría en la castilla moderna, Madrid, 2009.
38- Guillermo Gozalbes Busto, Aspectos Sociales Politicos y Econmicos de los Moriscos en Marruecos, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993.
39- J. Massip, Jos Moriscos del Territorio de Tortosa, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993.
40- Janer, Florencio, condicion social de Los moriscos de Espana causa de su expulsión y consecu rencias que esta produjo en el orden económico y político, Madrid, 1957.
41- Jose Maria Perceval, Animalitos del Senor Aproximacion a una teoria de las animalizaciones prepias y del otro sea enemigo siervo en la Espana imperial 1523-1609 : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granade 1492- 1992, Zaghouan, 1993 .
42- Juan Aranda Doncel, las consecuencias de la expulsion de los Moriscos en la Andalucia del Guadalquivir, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granade 1492- 1992, Zaghouan , 1993.
43- L.p. Harvey, Muslims in Spain1500-1614, university of chicogo press, Chicago- London,2005 .
44- Lapeyre Henri, Geographie de I´Espagne Morisque, parís, 1959.
45- Luis del mármol Carvajal, Rebelion y castigo de los moriscos, editorial arguval, Málaga, 2004 .
46- Luis de mármol carvajaI, Historia de rebelión y castigo de ios moriscos del Reino de Granada،Madrid,١٨٧٦ .
47- Mercedes Garcia Arenaly Fernado Rodriguez Mediano, Un Oriente Espnol los moriscos y el sacromonte en tiempos de contrarre forma, Marcial Pons Histroria, 2010 .
48- miguel Angel de Bunes, los moriscos en el pensamiento histórico, Madrid, 1983 .

49- R.G. Land , Le destin des Morisques dans Ie monde Arabo-Musulman, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993 .
50- Raafat Al-seikh , connection between the end of Muslim in the Mideterrnean sea, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993 .
51- Rachel Arie, Espana Musulmana siglos v111-xv, Barcelona, 1993.
52- Rajaa Yassine Bahri, El Proceso de Diego de Arcos y La Resistencia de Las Aljamas contra La Inquisicion, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan , 1993.
53- Ridha Mami , Juan Alonso Aragones :Romancista morisco del siglo xvll . in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan , 1993 .
54- Rule William Harris, History of the Inquisition, London, 1962 .
55- Saher Abdel Aziz Salm , The relation between mamluk Egypt and Granada befor and aftar its fall. in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993 .
56- Serafin de Tapia Sanchez, Las Redes Comercialas de los Moriscos de castill le vieja: un Vechiculo para sus complicidades, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993 .

البحوث المنشورة :

٥٧- إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية، في: ماء العينين ماء العينين العتيق، اللغة العربية في اسبانيا، الرياض، ٢٠١٥.
٥٨- إغناثيون كوتيرث دي تران كومث بنيتا، النقوش الكتابية في اسبانيا وصناعة الأحرف على المواد الصلبة ، في: ماء العينين ماء العينين العتيق، اللغة العربية في اسبانيا، الرياض، ٢٠١٥.
٥٩- جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم ، مجلة المؤرخ المصري ، العددان ٥و٦ ، يناير – يوليو ، ١٩٩٠م .
٦٠- حامد غنيم أبو سعيد، مكتبة غرناطة الإسلامية والمصير الذي آلت اليه، في: عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩٣.

٦١- الحسن السائح، إشعاع الموريسكيين في المغرب الأقصى، في: أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩٣.
٦٢- حسن الوراكلي، ملامح من صورة المورسكي في الأدب الإسباني، مجلة المناهل، العدد ٢٨، السنة العاشرة ، ١٩٨٣.
٦٣- حمد بن صالح السحباني، أثر الضعف الخلقي في عصر ملوك الطوائف، في: عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩٣.
٦٤- رافائيل بنتاز سانساش بلانكو، المفاوضات بين محاكم التفتيش والجماعات الإسلامية، منشور في: عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، ١٩٩٣.
٦٥- عبد الرحمن الحجي، قصيدة رائعة في رثاء الأندلس لشاعر أندلسي مجهول، مجلة المناهل، العدد ٢٨، السنة العاشرة .
٦٦- ــــــــــــــ، محاكم التفتيش الإسبانية وسراديب الموت، مجلة المناهل، العدد٣١، السنة ١٩٨٤.
٦٧- عبد العزيز الأهواني، سفارة سياسية من غرناطة إلى القاهرة سنة ٨٤٤هـ، مجلة كلية الآداب، المجلد ١٦، ج١، مايو ١٩٥٤.
٦٨- ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، في: سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩.
٦٩- محمد حجي، الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير، في: الموريسكيون في المغرب، منشور أكاديمية المملكة المغربية الندوة الثانية ٢٢-٢٤ جمادى الثاني ٢١-٢٣ شتنبر، شفشاون، ٢٠٠٠.
٧٠- ميلودة الحسناوي، الموريسكيون في الفكر التاريخي قراءة في الأبحاث والدراسات الموريسكية الإسبانية، في: الموريسكيون في المغرب، منشور أكاديمية المملكة المغربية الندوة الثانية ٢٢-٢٤ جمادى الثاني ٢١-٢٣ شتنبر، شفشاون ، ٢٠٠٠.

ناصر الدين سيعدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، مجلة الدراسات التاريخية، دمشق، العدد الخامس، السنة ١٩٨١.

General conditions for the Andalusians in Granada after the end of the Arab Islamic rule Historical study

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad
Center for Revival of Arab Scientific Heritage
Baghdad University

The cruel human suffering experienced by the Andalusians was a religious and racist conflict that affected all aspects of public life. Religious conflict was one of the most important factors determining the hostile relationship between the Andalusians and the Castiles. Castile sought to make them Christians by force, through laws that deprived them of all their rights.

The research discussed the naming of the Moriscans, the Treaty of Granada's surrender, and the general life of Andalusians after the fall of Granada, through the study of religious, economic, social, cultural and political life.